الفكر الإصلاحى عند محمد فريد وجدي

د. أحمد محمد سالم البربري*

* مدرس بقسم الفلسفة بكلية الآداب – جامعة طنطا – مصر.

ملخص البحث:

يعتبر محمد فريد وجدي تلميذاً للإمام محمد عبده، وقد عاش في أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، في فترة كان العالم الإسلامي يعيش تحت سطوة المد العلمي عليه، وفي ظل هذه الظروف فقد تهددت العقائد الإسلامية شبهاتُ الاتجاهات المادية والإلحادية، وقد أخذ محمد فريد وجدي على عاتقه التصدى لهذه التيارات المادية، حيث أقام البراهين العلمية لإثبات قضايا العقيدة الإسلامية، كما تصدى بالنقد للفلسفة اليونانية، والفلسفة الإسلامية، مطالباً بأن نأخذ الحكمة من القرآن، وكذلك فقد ناقش محمد فريد وجدي قضية العلاقة بين العلم والدين، ورأى أن هذه العلاقة كانت تأخذ شكل الصراع في الحضارة الأوروبية، في حين أنها أخذت شكل التكامل والتوافق في الحضارة الإسلامية، وذلك لأن القرآن الكريم قد ركز على أهمية العلم وضرورة التأمل والتفكر في أمور الكون، وأعلا كذلك من شأن العلماء.

ومن كل ما سبق يكتسب فكر محمد فريد وجدي أهميته، ويتضح مدى الدور الذي قام به في تجديد الفكر الإسلامي المعاصر.

مقدمة

منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين تعرضت أغلب الدول العربية والإسلامية لسيطرة الاستعمار الأوروبي، ولقد جاء هذا الاستعمار إلي عالمنا الإسلامي ليس من أجل نهب ثرواته وخيراته فقط، ولكنه – سعي – من خلال جهازه الاستشراقي، والنخب العربية المعجبة بالحضارة الأوروبية – إلي التشكيك في ثوابت الأمة الإسلامية، ومحاولة مسخ اللغة العربية وإزاء هذا الوضع حدثت نهضة فكرية سميت بعصر النهضة، ولقد تباينت التيارات الفكرية لهذا العصر، فمنها تيارات ليبرالية وعلمانية ارتضت لنفسها أن تسير وراء الحضارة الغربية، وتيار محافظ رفض الأخذ بأساليب الحضارة الغربية، وحاول أن يحافظ علي ثوابت الأمة الإسلامية، وتيار إصلاحي حاول أن يدافع عن ثوابت الأمة مع الأخذ بالجوانب المضيئة من الحضارة الغربية.

ويعتبر محمد فريد وجدي (١٨٧٥ – ١٩٥٤م) أحد أعلام المدرسة الإصلاحية في الفكر العربي والإسلامي الحديث، وهو ينتمي مباشرة إلى مدرسة الإمام محمد عبده (١٨٤٩ – ١٩٠٥م) وقد عاش محمد فريد وجدي حياة حافلة بالعمل، والتأليف واهتم بالدفاع عن الإسلام، وعقيدته بطريقة توافق الظروف والمستجدات المعاصرة، وكان حريصاً على أن يظهر الإسلام بصورة مشرقة، وفي ثوب يناسب ظروف التحديات التي يواجهها العالم الإسلامي إزاء الحضارة الغربية الناهضة(١).

وإزاء المد الثقافي الغربي كان التيار الإصلاحي –الذي ينتمي إليه محمد فريد وجدي– ينطلق من فكرة أهمية الدين، وتأثيره في حياة الشعوب الإسلامية، بل رأي أن هذه الشعوب لا يمكن أن تنهض إلا من خلال العودة إلى الإسلام فيقول جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨ – ١٨٩٧)": إن علاج الأمة الناجح إنما يكون برجوعها إلى قواعد دينها، والأخذ بأحكام الدين على ما كان في بدايته، وإرشاد العامة بمواعظه الوافية، لتطهير القلوب، وتهذيب الأخلاق "(٢)،

(١) انظر محمد فريد وجدى رائد التوفيق بين العلم والدين، لأنور الجندي.

(٢) العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى، جمال الدين الأفغانى، محمد عبده، ص١١٥.

وطالب الإمام محمد عبده بضرورة فهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعه الأولى، وذلك لأن أكبر بدعة عرضت لنفوس المسلمين في اعتقادهم: هي بدعة اليأس من أنفسهم ودينهم، وظنهم أن فساد العامة لا دواء له، وأن ما نزل من الضرر لا كاشف له، وأنه لا يمر يوم عليهم إلا والثاني شر منه، وهذا مرض سرى في نفوسهم[١] ولو رجع المسلمون إلى كتابهم واسترجعوا باتباعه ما فقدوه من آدابهم لسلمت نفوسهم من العيب، ولو أنهم طلبوا من أسباب السعادة ما هداهم الله إليه في تنزيله على لسان نبيه، وما مهد لهم سلفهم، وخطه الصالحون منهم، لاستجمعوا القوة، وبث فيهم روح الفتوة[٢].

واستمر محمد فريد وجدي على نفس نهج مدرسة الأفغاني، ومحمد عبده في التركيز على أهمية الدين، فيقول: "إن الدين هو شعور فطري في الإنسان بوجود قوة عظمى – لا نهاية لها – خلقت الكون، ونظمته على مقتضى العلم والحكمة، ولها السلطان المطلق عليه"[٣] ولا نكون مغاليين إذا قلنا: إن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بلا دين، وإذا كان المعتقدون قد أصيبوا بفتور في بعض الأحيان في موقفهم من الدين، فذلك كان في مظاهره الخارجية لا في جوهره، وحقيقته، وليس في شعور النفس بالحاجة إليه[٤] ولا يمكن أن ننكر تأثير الدين في حياة البشرية" فقد شهدت تواريخ العالم كله أن الأمم ما تدرجت في مدارج الوجود، ولا اجتازت عقبات الحياة الوحشية، إلا والدين قائدها، ومرشدها، والاعتقاد مسخرها ومصرفها[٥].

ولعل السبب في دعوة محمد فريد وجدي إلى ضرورة العودة إلى الدين هو إدراكه أن الإسلام ليس ديناً تقليدياً، ولكنه دين يملك مقومات العالمية، وهنا يكون التساؤل: ما هي حدود عالمية الإسلام عند محمد فريد وجدي؟

---

(١) الإسلام دين العلم والمدنية / لمحمد عبده ص١٠٧.
(٢) الوعي الذاتي / لبرهان غليون ص١٠٥.
(٣) الإسلام في عصر العلم / لمحمد فريد وجدى جـ٢ / ص١٨.
(٤) الإسلام دين الهداية والإصلاح / لمحمد فريد وجدى ص٦٠.
(٥) الإسلام في عصر العلم جـ٢ / ص١٩.

المبحث الأول
عالمية الإسلام ومقوماته

إن دعوة محمد فريد وجدي بضرورة العودة إلى الإسلام جاءت من إدراكه العميق لامتلاك الإسلام لمقومات الدين العالمي، فيقول: "إن التعاليم الإسلامية هي خير التعاليم التي تبني الأمم، وتضمن لها جميع الحوافظ التي تستبقى وجودها، وكل العوامل التي تدفعها إلى التطور"[(١)] ولهذا فإن الأمة الإسلامية لها مقاصد عالمية تنحصر في المرامي الآتية:

١ – تطهير العقائد مما أدخل عليها من آراء المزايدين، وضلال المتأولين.

٢ – إنقاذ الضمير البشرى من الذين انتحلوا حق التسلط عليه، وتطهيره مما ران عليه من وساوسهم وخزعبلاتهم.

٣ – إقامة سلطان العقل، وإعلاء حرية النظر، وهدم صنم التقليد.

٤ – إسقاط الوسطاء بين الله وخلقه، والمناداة بالمساواة العامة بين الناس أجمعين.

٥ – وحدة الجماعة البشرية كافة، بقيامها – جملة – على كلمة الله العليا، وإزالة ما بينها من فروق قومية، واختلافات جنسية ولغوية، في ظلال الوحدة الإنسانية.

٦ – الرجوع بالدين إلى أصله الأول الذي أوحاه الله لنبيه صلي الله عليه وسلم ليبلغه إلى جميع الأمم خالصاً من كل شائبة بشرية، ونبذ ما بثه الزعماء لجوهر الدين من تأويلات وشروح، مما جعل الناس فيه أحزاباً وشيعاً.

٧ – إقامة دولة الحق في الأرض، وجمع القلوب عليها، والتضامن لإزهاق الباطل.

٨ – دخول جميع الأمم إلى حظيرة السلام، والتكافل على تحقيق الخير العام بنشر التعاليم الفاضلة بين الناس.

---

(١) فصول من سيرة الرسول / لمحمد فريد وجدى ص١٤٣.

٩ – دوام الارتقاء في العلم والعمل، والوصول إلى الحق عن طريق النظر في آيات الله، واحتذاء المثل العليا للوصول إلى الكمال المقدر للإنسان

١٠– إنذار من لا يساهم من الجماعات في تحقيق هذا الإصلاح العام بالعذاب في الدنيا وسوء المنقلب في الآخرة(١)

وبناء على ما سبق فإن محمد فريد وجدي يرى أن أصول الإسلام ومبادئه لا تزال فيها قوة الاستمرار حتى بعد أن ضعف أهله، وذلك لأن الإسلام شرع لإحداث إصلاح عام بين البشر، فيقول: " قام الإسلام على مبدأ الإصلاح، إصلاح العقول بلفتها إلى أعلام الكون، وعدم الخبط فيما لا تعلم، وعلى إصلاح القلوب بتخليصها من العقائد الموروثة، وإقامتها على الفطرة السليمة، وعلى إصلاح المعيشة بحضها على استخراج كنوز الأرض، وتخليص الإنسان من جرائم المنكرات الخلقية، وعلى إصلاح الإنسانية قاطبة من جهتها المادية والروحية، واعتبارهما كلاً لا يتجزأ، وشُرِعَ ليكون إصلاحاً لهاتين الجهتين معاً(٢).

وهنا نلاحظ أن محمد فريد وجدي يبرز الميزة الكبرى للإسلام، وهي عدم تفرقته بين الديني والدنيوي، وبين مطالب النفس ومطالب الروح، وهذا ما يحقق التوازن في الحياة الإنسانية.

ويمكن أن نوضح مقومات عالمية الإسلام عند محمد فريد وجدي في النقاط التالية:–

١ – الإسلام دين الفطرة والعقل:

إن أحد مقومات عالمية الإسلام: كونه دين الفطرة والعقل، فالإسلام بنص آياته دين الفطرة ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ الروم (٣٠) والدليل من السنة على أن الإسلام دين الفطرة

(١) الأدلة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية/ لمحمد فريد وجدى ص٤.

(٢) فصول من سيرة الرسول ص١٤٣.

حديث الرسول (ﷺ) «كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه»*.

فكل مولود يولد مفطوراً على الدين الخالص (الفطرة) إنما هو الدين الحق وحده، وإنما أبواه يلقنانه من التعاليم ما هم عليه منها، وهو ما ينافي الإسلام جملة وتفصيلاً، لأنه لا يعتد بدين غير تلك الفطرة النقية(١)، إن الفطرة نفسها هي الدين الحق، والإسلام هو نفسه تلك الفطرة، والإسلام ليس بتقاليد وموروثات، وآراء وشروح، ولكنه تلك الفطرة مجردة من كل شائبة، وهي تؤدى – بقواها الذاتية – إلى أقوم الطرق، وأعدل المذاهب(٢).

وتعني الفطرة عند محمد فريد وجدي: الخلقة، والخلقة في اللسان العصري: الطبيعة، فالدين الفطري يمكن تعبيره باللسان العصري بالدين الطبيعي* – وهنا يرادف محمد فريد وجدي بين الفطرة والطبيعة، ولا يعني بالدين الطبيعي الدين الذي ظهر في أوروبا فى القرن الثامن عشر، وكان نتاجاً للتفكير البشري– ومعناه: أنه لا يكلف الإنسان إلا بما ينطبق على طبيعته، ويناسب جبلته(٣) وبذلك نجد أن محمد فريد وجدي يمزج بين كون الإسلام دين الفطرة، وبين كونه الدين الطبيعي، فيقول "الإسلام هو الدين الفطري أو الدين الطبيعي؛ لأنه لا يكلف الإنسان إلا بما هو مطبوع على البحث فيه، واعتقاده، ولا يجيئه من العقائد بما يقف حجر عثرة في سبيل تقدمه ورقيه، لأن غرضه الأول تخليص العقائد من تلك الحجب التي أسدلها عليها حفظة العقائد، وسدنة المعابد، والزاعمون بأن لهم حق الوساطة بين المخلوق والخالق،

---

* أخرجه البخاري في الجنائز ١٣٥٨، ومسلم في القدر ٢٦٥٨، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

(١) الإسلام دين الهداية والصلاح ص٦٢٢.

(٢) المرجع نفسه ص٢١

((أخرجه البخارى فى الجنائز، ١٣٥٨ فتح، ومسلم فى القدر ٢٦٥٨، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى)

* ظهر هذا الاصطلاح في القرن الثامن عشر، ويدور حول الإيمان بوجود الله، وخلود الروح، وذلك من منطلق بشري خالص، بعيداً عن السلطة الكنسية فى أوروبا. انظر مراد وهبة المعجم الفلسفي، دار مأمون للطباعة، القاهرة ١٩٧٩ ص١٩٩.

(٣) الإسلام في عصر العلم جـ١، ص١٦١.

وليطهر الأفئدة مما ران عليها من آثار الوراثات والتقليد، ومما تراكم على سويدائها من غلف التعصب والجمـود[١]، وفي هذا يتفق محمد فريد وجدي مع الشيخ عبد العزيز جاويش (١٨٧٦ – ١٩٥٦) في القول: بأن الإسلام دين الفطرة حيث يقول: "جاء الشرع الإسلامي في مسألة الإيمان بالله وتقديسه بعيداً عن الحلول، ومشابهة الغير، وتوحيده بالعبادة دون غيره، حتى يستطيع الإنسان أن يصل إليها بفطرته متى خلا شأنه، غير مضلل ببعض الأباطيل"[٢].

وبالإضافة إلى كون الإسلام دين الفطرة فقد رأى محمد فريد وجدي أن الإسلام دين العقل –وذلك لكي يرد علي المستشرقين والعلمانيين الذين يقولون: بأن الإسلام دين لا عقلي– حيث طالب الإسلام باستعمال العقل، وأن يتخلى المسلم عن جميع ما ورثه من التقليد والأوهام، وأن يكون أمام الحقائق كيوم ولدته أمه، خالي الذهن من كل صور خيالية، أو وراثة تقليدية، ومتى تم له إحداث هذه التخلية الذهنية طالب بالأخذ بحكم العقل، لا بحكم الهوى والوهم[٣].

ذلك، لأن العقل هو مناط التكليف، وفيصل التفرقة بين الحق والباطل، ولذلك حث الحق سبحانه وتعالى الإنسان على النظر في الأعلام التي نصبها في الكون لتكميله، والمنار التي أقامها لهدايته، ليقوى على ما هو بصدده، ويأمن من العثار في حكمه، ولا يلتبس عليه الباطل، وهذا الجمع بين حكم الفطرة وحكم العقل: هو الأساس الديني الذي بعث به الله خاتم الأنبياء لوضعه وإعلائه بين الأمم لتتوحد في أديانها وعقائدها، كما هي متوحدة في إنسانيتها، وفطرها وعقولها[٤]، ويتفق عباس العقاد (١٨٨٩ – ١٩٦٤) مع محمد فريد وجدي في القول: بأن الإسلام دين العقل، فيقول: "إن التفكير فريضة في الإسلام، وتبين منها أن العقل الذي يخاطبه الإسلام هو العقل الذي يعصم الضمير، ويدرك الحقائق، ويميز بين الأمور، ويوازن بين الأضداد، وأنه هو العقل الذي يقابل الجمود، والعنت، والضلال"[٥].

---

(١) المرجع نفسه جـ١ / ص ١٦٣.
(٢) الإسلام دين الفطرة والحرية / لعبد العزيز جاويش ص٥٩.
(٣) مهمة الإسلام في العالم ص ٧٦.
(٤) المرجع نفسه ص٦٠.
(٥) التفكير فريضة إسلامية / لعباس محمود العقاد ص٢٠.

وقد ترتب على اعتماد الإسلام على العقل والفطرة في بناء صرحه أنه "لم يبق بمعزل عن الحياة الإنسانية حتى يعتريه من الجمود والتحجر ما يعترى الأصول الموقوفة، ولكنه جعل في دائرة محاولاته أن يترقى في إدراك أسراره، واستشراف أنواره، كما يترقى في فهم الوجود الذي يعيش فيه، كما أن الإسلام باعتماده العقل والفطرة جعله ينتشر ما بين حدود أسبانيا إلى حدود الصين"[١].

ولا شك أن موقف الإسلام من العقل يتضح بصورة أوسع في موقف الإسلام من التقليد ودعوته لأهمية الاجتهاد والتجديد.

٢ – نقد التقليد وضرورة التجديد والاجتهاد:

يستمد الإسلام قدرته على تجاوز الزمن برفضه لسيادة التقليد في العقائد، ودعوته للتجديد والاجتهاد الذي يؤدى إلى فهم الدين وفقاً لمستجدات كل عصر. وقد أسس الأمام محمد عبده قاعدة نقد التقليد في العقائد، لأن هذا يؤدي إلى انتشار البدع والجمود فنجده يقول "إن كل ما تراه من البدع المتجددة فمنشؤه سوء الاعتقاد الذي نشأ من رداءة التقليد، والجمود عند حد ما قاله الأولون، بدون بحث في دليله، ولا تحقيق في معرفة حاله، وإهمال العقل في العقائد، على خلاف ما يدعو إليه الكتاب المبين والسنة المطهرة[٢]، ويتفق معه محمد فريد وجدي في نقده للتقليد فيقول "إن بقاء التقليد يعد خزياً للعقلية البشرية، ولهذا كان أول ما تصدى له الإسلام بعد تقريره العقائد الأولية عادة التقليد الأعمى للأسلاف والقادة دون عرضها على محك النظر وزنتها بقسطاس العقل السليم"[٣]، ويذهب محمد رشيد رضا (١٨٦٥ – ١٩٣٥) إلى أنه "من باب التقليد دخل أكثر الخرافات على المسلمين"[٤]، ولهذا فإن

---

(١) من معالم الإسلام ص٥٦.
(٢) الأعمال الكاملة / للإمام محمد عبده جـ١ / ص٣٤٣.
(٣) مهمة الإسلام في العالم ص٩٧.
(٤) الوحي المحمدي / لمحمد رشيد رضا ص ١٧.

"الإسلام لا يقبل من المسلم أن يلغي عقله ليجري على سنة آبائه وأجداده، ولا يقبل منه أن يلغي عقله خضوعاً لمن يسخره باسم الدين في غير ما يرضى العقل والدين، ولا يقبل أن يلغي عقله رهبة من بطش الأقوياء، وطغيان الأشرار"[1].

ويبرز محمد فريد وجدي حملة الإسلام على التقليد والمقلدين من خلال الاستشهاد بنصوص الآيات القرآنية:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ البقرة (١٧٠).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ المائدة (١٠٤) ومن ثم فقد "نعى الإسلام على التقليد والمقلدين، وحث علي النظر العقلي والاعتماد على الحق والبرهان، وأن يشعر كل مكلف بالتبعية الملقاة على عاتقه، فينساق لأعمال قواه العقلية في الاستدلال والاستنتاج، ولا يقف عند التحجر الأدبي الذي يعده لقبول الأوهام التي يدلي بها المضللون[2] والإسلام حين يكافح التحجر التقليدي فذلك حتى تستطيع الفطرة الإنسانية أن تهب وتطلب الفهم، وتتحرى الدليل، ولا تسكن إلى الاتباع دون أن تعرف شيئاً عن أي طريق يجرى بها وإلى أي غاية يؤديها[3].

ولعل السبب الواضح في نقد محمد فريد وجدي للتقليد: أنه يؤدي إلى جمود العقيدة، وعدم فاعليتها في حياة البشر فيقول: "العقيدة بالوراثة – ما لم يعززها الذوق الذاتي – لا تفيد صاحبها شيئاً، ولا أدرى ماذا يكون نصيبه في الآخرة؟ لا تفيده في الدنيا؛ لأنه محروم من دافع العقيدة، لأن المعتقد له من شعوره بأنه خليفة الله في الأرض أكبر باعث على استغلال الطبيعة، وإحياء

(١) التفكير فريضة إسلامية ص ٦٧.
(٢) مهمة الإسلام في العالم ص١٧٠.
(٣) الإسلام دين الهداية والإصلاح ص٣٨.

مواتها، والذهاب في الإبداع فيها كل مذهب... أما الذي اكتفى من العقيدة بمحض تذكره أن أبويه كانا مؤمنين فلا يحس بأثر دافع، ولا يجد في نفسه لذة العقيدة ونورها الذي يضيء مسالك الحياة[١]؛ ولهذا فقد هدم الإسلام مبدأ التقليد الأعمى، وأيقظ الشعور بالمسؤولية الشخصية، فخلص الضعفاء من العبودية للأقوياء، فالإسلام أراد بما هدم من أركان التقليد الأعمى أن يلاشي حالة جاهلية، كان فيها الناس مستعبدين لطوائف احتكرت فيها العلم والدين[٢].

ولا شك أن نقد محمد فريد وجدي للتقليد إنما هو تأكيد لقيمة العقل التي أرسى الإسلام أصولها، ولهذا ينبغي أن نضع في الاعتبار أن: قوام الدين العقل، ومادته العلم، وميزانه الدليل العقلي المطلق من أسر الأوهام التقليدية، والعلم القائم على الأعلام الوجودية، والدليل الخالص من مؤثرات الأوهام النفسية[٣] كما أهاب الإسلام بالناس إلى اعتبار العقل وسيادة العلم، ودعا إلى النظر والتفكير، وطلب البرهان، واشتد في هذه الدعوة إلى حد أنه لو أحصى ما جاء في القرآن من قوله تعالى (أفلا يعقلون) (لعلهم يتفكرون) (أفلا تذكرون) لتعدت العشرات، ولو أضيفت إليها الآيات التي تطالب الناس بتبنيهم لقواهم العقلية، ورفض ما لا يعززه برهان، وترك كل ما يؤيده علم، ونبذ التقليد للآباء... الخ لبلغت المئات، فإن القرآن قاسم على هذه الأصول، ويدعو لها[٤] وقد هدف الإسلام من دعوته للتفكير والتدبير إلى "تنبيه قوى العقل إلى أداء وظائفها، وبعثها من ركودها إلى الحركة التي خلقت لها؛ لتصبح الشخصية الإنسانية مستكملة جميع عناصرها، وتكتسب المناعة الطبيعية حيال ما يلقى إليها من التعاليم المنافية للعقل، والمجافية للعلم، فيصبح الإنسان بذلك صعب القياد على المضللين، شديد الشكيمة على المحرضين والمنحرفين"[٥]

---

(١) الإسلام في عصر العلم جـ١ / ص١٩٦ – ١٩٧.
(٢) مهمة الإسلام في العالم ص٢١٩.
(٣) السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة / لمحمد فريد وجدى ص٧٥.
(٤) الإسلام دين الهداية والإصلاح ص١٦٩.
(٥) مهمة الإسلام في العالم ص١٧٦.

ويرى محمد فريد وجدي أن الإسلام هدف من رفضه للتقليد إصابة أغراض ثلاثة:

- أولها: ليتمكن من نشر الأصول المحيية التي قصد بها إحياء البشر في عهده الأخير، ولا يحول دونها غير تقليد المقلدين
- ثانيها: ليحفظ للعاطفة الدينية قوتها الذاتية، لتستطيع بها تأدية وظيفتها، من ضبط النفوس، وكبح جماح الشهوات، وصد تيار الفتنة عن اختراق الجماهير، وذلك بجعل الدين مسايراً للتطورات العقلية، والثقافة العلمية.
- ثالثها: ليجعل أسلوب النظر الديني أرقى من أسلوب النظر العلمي، حتى لا يطغى الأخير على الأول، فيكف من جماله، ويغض من جلاله، ويجرى الناس خلفه مفتونين(١).

ولا يقف محمد فريد وجدي عند حدود رفض التقليد بل يطالب بضرورة تجديد النظر في العقائد، فيقول "فرض الإسلام سنة التجديد في النظر للدين فقد علم أن لكل زمان مناهج للفهم، ووجهات للتفكير، ومسلمات أو مرجحات خاصة، فإن لم تتجدد الفلسفة الدينية، وتطبق على الحاجات الجديدة بلسان أهل كل عصر، وتشمل عناصر ثقافتهم جمدت حيث هي، وتركها الناس، ومضوا مع العلم، فقال عليه الصلاة والسلام "إن الله يرسل على رأس كل مائه من يجدد لهذه الأمة أمر دينها" (٢).

ويتفق الشيخ أمين الخولى (١٨٩٥ – ١٩٦٦) مع محمد فريد وجدي في دعوته للتجديد، فيرى أن التجديد ليس إلا حماية المجتمع، والانتباه إلى العوامل المفسدة لأمره، والتجديد إنما هومسايرة التطور، والتطور الديني إنما هو نهاية التجديد الحق(٣)، والتجديد ليس إعادة قديم كان، وإنما هو اهتداء إلى جديد بعد أن لم يكن، سواء أكان الاهتداء إلى هذا الجديد بطريق الأخذ من قديم كان موجوداً، أم بطريق الاجتهاد في استخراج هذا الجديد بعد أن لم

---

(١) مهمة الإسلام في العالم ص٩٩.
(٢) الإسلام دين الهداية والإصلاح ص ١٣٥.
(٣) المجددون في الإسلام / للشيخ أمين الخولى ص٦٢.

يكن[١]، ومن ثم فقد هدف الشيخ أمين الخولى من التجديد إلى حماية التدين، واستمرار صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، وفقاً لرؤى جديدة.

ولا يتحقق التجديد – عند محمد فريد وجدي – إلا من خلال الاجتهاد فمن أصول الإسلام.. فتح باب الاجتهاد في الدين إلى يوم القيامة، وليس بعد هذا إكبار لشأن الحقيقة، واعتراف بكرامة العقول، واحترام لمبدأ اختلاف الآراء[٢] والسبب في أهمية الاجتهاد – عند محمد فريد وجدي –: "أن القرآن فيما يختص بالتشريع، والأخلاق، وهيئة الاجتماع لا يحتوى إلا على أصول أولية، وقوانين كلية، تاركاً الجزيئات لأهل الاجتهاد، يستنبطونها على حسب الزمان والمكان من كتاب الله، وسنة رسوله"[٣].

والواقع أن دعوة محمد فريد لفتح باب الاجتهاد كانت تقابلها دعوى بعضهم في تلك الفترة التاريخية بقفل باب الاجتهاد، حيث نادى المصلح التركي سعيد النورسى (١٨٧٦ – ١٩٦٠) بقفل باب الاجتهاد نتيجة للظروف التاريخية التي تعيشها الأمة الإسلامية من سيطرة الاستعمار، وانتشار النزعات المادية، وسيادة تقليد الحضارة الغربية[٤] في حين نجد محمد فريد وجدي رفض دعوى غلق باب الاجتهاد، فيقول "ولا يزال باب الاجتهاد مفتوحاً إلى يومنا هذا، ولا يزال مفتوحاً على مصراعيه، حتى تقوم الساعة، وذلك ليتسع لجميع التطورات العقلية التي تمر بها العقول في كل زمان ومكان، حتى لا يكون للمسلمين عذر في تركه، والتعويل على الشرائع الأخرى"[٥].

ولا شك أن دعوة محمد فريد وجدي لأهمية الاجتهاد إنما هي استمرار لدعوة أقطاب الحركة الإصلاحية؛ لذلك فقد ذهب جمال الدين الأفغانى إلى أنه "لا يجب الوقوف عند أقوال أناس قد أطلقوا لعقولهم سراحها، فاستنبطوا،

---

(١) المرجع نفسه ص٣٢ – ٣٣.
(٢) فصول من سيرة الرسول ص٧٠.
(٣) مقدمة المصحف المفسر / لمحمد فريد وجدي ص١٢٠.
(٤) للمزيد يراجع رسالة الاجتهاد / اللمعات للإمام / سعيد النورسى.
(٥) الإسلام دين الهداية والإصلاح ص٧٧.

وقالوا، وأدلوا بدلوهم في الدلاء في ذلك البحر المحيط من العلم، وأتوا بما يناسب زمانهم ويتقارب مع عقولهم، وتتبدل الأحكام بتبدل الزمان"[١]، وعلينا – إذن – أن نجتهد بما يوافق ظروفنا الراهنة وقد أكد محمد إقبال (١٨٨٦ – ١٩٣٨) على أهمية الاجتهاد، واعتبره مبدأ الحركة في الإسلام والذي يجعل الإسلام صالحاً لكل زمان ومكان، وصاحب شريعة عالمية[٢].

ومن هنا يمكن القول: إن الاتجاه الإصلاحي قد طالب بفتح باب الاجتهاد كمبدأ للحراك الاجتماعي، وقد استقر الرأي على أن الاجتهاد هو أداة البعث الحضاري، وسبيل الإحياء والتجديد، ونحن نتفق مع الرأي الذي يذهب إلى أهمية الاجتهاد في حياتنا المعاصرة، وذلك لأننا "في عصرنا الحديث نجد لدينا ثراء وغنى في فقه العبادات والشعائر الدينية، يصاحبه فقر شديد في فقه المعاملات، والفكر السياسي اللازم لمواكبة الواقع السياسي والمستحدثات من الأمور التي يبرز حاجتنا الماسة إلى تنشيط الاجتهاد في فقه (الواقع) السياسي والاجتماعي، والاقتصادي[٣] فمن الضروري جعل الاجتهاد أساساً للحياة الإسلامية، فالاجتهاد يعنى الانطلاق مع الحياة، وفاء بجديد حاجتها؛ وذلك لأن أحداث الحياة الاجتماعية متغيرة، والاجتهاد يعنى مسايرة التغير الاجتماعي.

٣ – عالمية التشريع:

يرى محمد فريد وجدي أن عالمية الإسلام تقوم على عالمية التشريع الذي جاء به، فيرى أن "الإسلام أراد من عدم اختصاص التشريع بزمان دون زمان أن يستفيد من الرقي الذي تحققه، فيكون حظه منه أوفر حظ، ويندمج في روح الأمم، فتتوحد ميولها الدينية، وميولها العلمية، فلا يكون بينهما تناقض من أي نوع، وتقوم الصلة بين الناس وشريعتهم، فتدخل معهم في جميع التطورات

(١) باب الاجتهاد مفتوح / الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى ص٣٢٩.
(٢) تجديد التفكير الديني في الإسلام / للعلامة محمد إقبال ص١٦٨.
(٣) الإسلام وضرورة التغيير / للدكتور محمد عمارة ص١٠٥.

المقدرة لهم، وتتلاءم وأحوالهم الاجتماعية الذين يدخلون فيها تحت ضغط الحوادث، وآثار الانقلابات "[١].

ويرجع محمد فريد وجدي السبب في عالمية التشريع إلى أنه "لم تظهر شريعة أرسخ في العدل، ولا أبعد في المساواة واحترام حقوق الإنسان، ولا أجمع لأصول الحياة الاجتماعية، وأشمل لعناصر التطورات الإنسانية من الشريعة الإسلامية، لأنها قامت على مراعاة الحقوق الطبيعية، وراعت في وضعها لا مصلحة المجتمع الإسلامي وحده، ولكن مصلحة المجتمع البشرى كله، بل والمجموع العالمي كله، الشريعة لم تسند إلى طائفة خاصة، ولا حُصرت في طبقة معينة، ولا جُعلت من حظ العرب، ولكنها جُعلت حقاً شائعاً للكافة، يتناوله من شاء من المسلمين "[٢] فالإسلام شرع للناس كافة أبيضهم وأسودهم، عربيهم وأعجميهم، فسوى بينهم مساواة لا محل فيها لأبوة ممتازة، أو نسب، أو شرف قبلي، أو غير ذلك من دواعي الامتياز، وبواعث الغنى والانحياز، وجعل التمايز بالمزايا والأعمال، لا بالأقوال، فقال تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ الحجرات (١٣)[٣] والإسلام بذلك يقاوم روح الجاهلية القائمة على التعصب للإنسان والعشائر... الخ، وبهذا يتفق محمد فريد وجدي مع الشيخ عبد العزيز جاويش الذي يرى أن من ركائز الشريعة الإسلامية: "المساواة بين المسلمين في الأحكام، وكذا بينهم وبين من لهم ذمة وعهد، فإن لهم ما لهم، وعليهم ما عليهم، فلا يفضل أحد على أحد – في اعتبار الشرع – إلا بالتقوى والعمل الصالح ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ الحجرات (١٣) فقد جعل الله الغنى والفقير، والمأمور والأمير، والعزيز والحقير، سواء في أحكامه الدنيوية والأخروية"[٤] ويول العقاد "إن

---

(١) الإسلام دين الهداية والإصلاح ص٧٢.
(٢) المرجع نفسه ص٧٥.
(٣) المدنية والإسلام / لمحمد فريد وجدي ص٦٠.
(٤) الإسلام دين الفطرة والحرية ص٩٣.

معجزة المعجزات في هذه الرسالة الإلهية أن يتعلم الإنسان ضلال العصبية بالنسب، والحسب، وجهالة الفخر بالآباء، والأجداد من غير فضل ولا عمل"[١].

ويذهب محمد فريد وجدي إلى أن إعجاز التشريع الإسلامي يظهر في إقامة نظام ديني يصلح لجميع الأجناس البشرية، ويسمح لدروب العبقريات الإنسانية بالإشراق والازدهار في ظل سلطانه الوطيد الأركان، على نحو لم يسبق له مثيل في أي دور من الأدوار التاريخية[٢]، وذلك لأن قادة الأمة وعلماءها المبرزين في مجال نشاطها العقلي كانوا من جنسيات مختلفة، ومنهم: من كانوا أرقاء، أو أبناء أرقاء، فلم يمنع ذلك أن يعلو في هذه الأمة حيث وضعتهم مواهبهم وكفاءاتهم[٣].

والواقع أن الحضارة الإسلامية، بسبب شريعتها المؤسسة على العدل والمساواة استطاعت أن تتغلغل في أرجاء كثيرة من العالم "ولم تبلغ المدنيات اليونانية والرومانية مبلغ الإسلام في تقدير العدل والظلم وما بُنى عليهما من أحكام، ويظهر ذلك في معاملتهما للشعوب، فإن الشعب اليوناني فرق بين من ينتسب لأصل يوناني، وبين من لم يمت إليه بصلة، فجعل للأولين جميع الحقوق المدنية، وخولهم حق السيادة على الآخرين، وجاراه في ذلك الشعب الروماني، فإذا قارنت بين آثار هاتين الأمتين، وآثار الإسلام وجدت بوناً وخلافاً شديداً؛ لأن اليونانيين والرومانيين لم يصلوا من لباب العدالة إلى مثل ما وصل إليه الإسلام"[٤].

وبالإضافة إلى استناد الشريعة الإسلامية على العدالة والمساواة، فإن محمد فريد وجدي يرى أنها قامت – أيضا – على الحرية "فقد حررت الإنسان من عبوديته لرجال من أمثاله، فأعلن أنه لا وساطة بين الله وخلقه، لأن الناس سواء أمامه، لا يتفاضلون إلا بالتقوى والعمل الصالح، فكل إنسان مسؤول عن

---

(١) عالمية الإسلام / لعباس محمود العقاد ص٩.
(٢) مناقشات وردود / لمحمد فريد وجدي ص ٤٥.
(٣) مهمة الإسلام في العالم ص ٨١.
(٤) فصول من سيرة الرسول ص٩٨.

عمله، ولا تنفعه شفاعة الشافعين، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ النجم (٣٩)[١].

٤ – الإسلام يدعو إلى وحدة الدين:

لقد اختلف المفكرون حول أصل الدين، فمنهم: من ذهب إلى أن أصل الدين واحد، وهو عقيدة التوحيد، ومنهم: من قال: بأن أصل الدين هو التعدد، وليس الوحدة، ومن القائلين بالتعدد: عباس محمود العقاد، والذي رأى أن عقيدة التوحيد جاءت بعد مرور الدين بدور التعدد، فيقول: "إن العقيدة الدينية مرت بثلاثة أدوار، وهي: دور التعدد، ثم دور التمييز والترجيح، ثم دور الوحدانية، ففي دور التعدد كانت القبائل الأولى تتخذ لها أرباباً تعد بالعشرات، وقد تجاوز العشرات إلى المئات، ويوشك في هذا الدور أن يكون لكل أسرة رب تعبده، وفي الدور الثاني، وهو دور التمييز والترجيح تبقى الأرباب على كثرتها، ويأخذ رب منها في البروز والرجحان على سائرها، إما لأنه رب القبيلة الكبرى التي تدين لها القبائل الأخرى بالزعامة... وإما لأنه يحقق لعباده جميعاً مطلباً أعظم وألزم من سائر المطالب التي تحققها الأرباب المختلفة، وفي الدور الثالث تتوحد الأمة فتجتمع إلى عبادة واحدة[٢] فالعقاد يرى أن التوحيد جاء بعد التعدد، وهو قمة تطور الإنسانية في موقفها من الأديان.

ويرفض محمد فريد وجدي نظرية التعدد كأصل للأديان، ويرى أن الإسلام دعا إلى وحدة الدين، وذلك لأنه يقرر أن الله أوحى إلى أنبيائه جميعاً ديناً واحداً، هو مما يتفق والفطرة التي فطر الناس عليها، ويتلاءم والعقل الذي غرس في نفوسهم احترام أحكامه[٣] فالإسلام يدعو إلى وحدة العقيدة الدينية، مبيناً أن أصل الأديان واحد، وأن الأديان ما وصلت إلى هذا المدى البعيد من الخلاف إلا بتحريف قادتها، بغياً بينهم، وأن الإسلام نفسه هو ذلك الأصل الأقدم[٤].

---

(١) من معالم الإسلام ص٩٧ – ٩٨.
(٢) الله / لعباس محمود العقاد ص٢٠.
(٣) مناقشات وردود ص١٤٩.
(٤) مهمة الإسلام في العالم ص٩٤.

ويرى محمد فريد وجدي أن الإسلام قد بنى دعوته لوحدة الدين على مجموعة من القواعد:

١ – قرر الإسلام أن دين الله واحد في جميع العصور، وأنه أوحاه إلى أول رسول أرسله إلى البشر، ثم والى إنزاله على المرسلين في فترات من تاريخ الأمم، تجديداً لما طمس من معالمه، وبياناً لما غمض من أصوله، وتصحيحاً لما حرف من آدابه. ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ الشورى (١٣).

٢ – إن الدين وضع إلهي، غرزه الله في صميم الفطرة البشرية، لا تشذ عنه النفس الإنسانية، وأنه بهذا الاعتبار أصبح في حكم جميع الغرائز الجبلية التي لا يختلف فيها اثنان ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ الروم (٣٠).

٣ – إن منشأ كل خلاف يشق عصا الناس في أمر الدين، ويوجب عليهم التفرقة هو إرادة البغي، وإهمال العقل، والتقليد الأعمى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ البقرة (١٧٠)[1].

ونحن نتفق مع محمد فريد وجدي في وجهة نظره في أن أصل الدين التوحيد، وأن التعدد جاء نتيجة لتسخير بعض الطغاة الناس لأغراضهم وشهواتهم وأهوائهم، ولهذا نجده يقول "إن القواعد التي أبانت أن أصل الأديان واحد يقبلها العقل بمجرد التأمل فيها؛ لأنها من بداهاته الأولية، فأما أن أصول

(١) الإسلام دين الهداية والإصلاح ص٢٨ – ٢٩، ومهمة الإسلام في العالم ص٨٩ – ٩٠.

دين الله كانت واحدة في جميع العصور فأمر لا يسيغ العقل الكامل سواه، لأن الحق لا يتعدد، وأما أنه وضع إلهي في مستوى الغرائز فأمر لا يمكن التردد فيه، لأن النفوس مفطورة على طلب الحق، وأما منشأ الخلافات في الأصول فهو إرادة البغي وإغفال حكم العقل، والتقليد الأعمى لما كان عليه الأسلاف"[١] ويؤكد محمد فريد وجدي على أن الإسلام بكل نصوصه أعلن أنه ليس بدين جديد، ولكنه هو الذي أنزل على جميع الأنبياء، فالدين لا يجوز التخالف فيه، وكيف نتخالف والأساس هو الفطرة، وهي واحدة لدى الناس على اختلاف بيئاتهم وأجيالهم، وإنما جاء الخلاف من الأوهام، والأهواء التي تناول بها قادتهم العقيدة بالشرح والتأويل، والتحريف، خلال العصور حتى تحقق مطامعهم في تخسير النفوس واستغلال جهالتهم[٢] ومن ثم ينتهي محمد فريد وجدي إلى "أن الإسلام لم يشرع باعتباره ديانة جديدة، ولكنه باعتباره الدين المطلق الذي أنزل على جميع أنبيا ئه في جميع العصور"[٣].

٥ – القومية في الإسلام:

في أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين ظهرت النزعات القومية في كافة أرجاء العالم، وكانت القومية –من وجهة النظر العلمانية– تستند على وحدة الجنس، واللغة، والتاريخ، دون الاعتبار لدور الدين في الربط بين الناس، وقد أدى الاعتزاز بالقوميات إلى نشوب حربين عالميتين في النصف الأول من القرن العشرين، ولم يكن العالم العربي بمعزل عن النعرات القومية السائدة في العالم، فقد ظهرت العديد من الدعوات القومية العلمانية في العالم العربي، وكان من أبرز دعاتها: ساطع الحصرى (١٨٨٠ – ١٩٦٨) الذي دعا إلى تأسيس القومية العربية، استناداً على وحدة اللغة والتاريخ والجغرافيا[٤]

---

(١) مهمة الإسلام في العالم ص٩٠ – ٩١.
(٢) الإسلام دين الهداية والإصلاح ص٣٠.
(٣) من معالم الإسلام ص١٣٠.
(٤) للمزيد يراجع آراء فى الوطنية والقومية / لساطع الحصرى.

ويرفض محمد فريد وجدي النعرات القومية العلمانية، وطالب بتأسيس قومية تستند على الإسلام كدين عالمي يدعو إلى الوحدة الإنسانية بين الشعوب الإسلامية، ومحق ما بينها من الفوارق، والقوميات، وأوهام الطبقات الاجتماعية، والخلافات العرقية فيقول "دعا القرآن إلى الألفة بين الشعوب لا فرق بين أبعدها وأقربها، ولا بين أسودها وأبيضها، مقرراً أن مدار الكرامة ليست بالاعتزاز بهذه الأمة أو تلك، فالإسلام لا يرمى إلى تأليف أمة على مبدأ الجنسية، ولكن يرمي إلى تأليف أمة عالمية تذوب فيها الجنسيات، والفوارق الاجتماعية، ليتألف من مجموعها أمة تكون المثل الأعلى لما يجب أن يكون عليه الناس يوم تسقط من رؤوسهم الأوهام القومية، والأهواء الجنسية التي تفرق بينهم، وتجعل من بعضهم أعداء لبعض، وتؤجج بينهم نيران الحروب والغارات، وهي حالة تنافى الغرض السامي الذي خلق الإنسان لتحقيقه في هذا العالم[١].

ومن ثم يقرر محمد فريد وجدي أن القومية ينبغي أن ترتكز على الإسلام كدين عالمي، ولا ينبغي الاعتراف بالفوارق الجنسية، واللغوية، ولهذا فإن الروابط الإسلامية بين الناس هي أرفع ما يمكن أن يصل إليها العقل من معنى العدل الإلهي، فهي تقوم على هذه المباديء.

- أولها: المساواة بين جميع الخلق، لأنهم كلهم لآدم وأدم من تراب.
- ثانيها: أن التفاضل بينهم لا يبنى على الفوارق من جنس، ولغة، ولون، ولكن على تقوى النفس.
- ثالثها: أن القبائل والشعوب خلقت لتتعارف على الاضطلاع بأعباء الحياة، لا لتتناكر وتتفاخر.
- رابعها: تسويد الحق في جميع المواقف على القول.
- خامسها: العمل على إعلاء كلمة الله في الأرض، وهي العدل المطلق، لا المصلحة المادية.

---

(١) مهمة الإسلام في العالم ص٧٤ – ٧٥.

وهذه روابط جامعة تصلح أن تضم الناس أجمعين، وتمحو ما بينهم من أحقاد الجاهلية وثورات قومية، وتجعل العالم كله أمة واحدة في ظل أكمل الأصول الأدبية، وأكرم المباديء العلوية[١].

ويذهب محمد فريد وجدي إلى أن الانقسام في العقائد لا يضر أمة رابطتها غير الدين، كإحدى الأمم الأوروبية مثلاً، فلا يضر فرنسا أن تنقسم عشرين قسماً في الدين – تكذيباً وتصديقاً – في شؤونها الحكومية، لأن رابطتها ليست دينية، في حين أن كل طبيب يعالجنا من غير الوجهة الدينية – التي هي رابطتنا الأصلية – فلا يصادف دواؤه المرض الحقيقي، ولا أغراضه الحقيقية، وينتهي أمره بإتهام الأمة بالموت، جهلاً منه بمرضها، ويأساً من تطبيبه ما بها[٢].

ولا شك أننا أشد ما نكون في حاجة إلى الوعي بأهمية فكر محمد فريد وجدي حول مفهوم القومية الإسلامية، وذلك بسبب الظروف الصعبة التي يواجهها المسلمون في كافة أرجاء الأرض، فعليهم أن يتحدوا في مواجهة هذه الظروف والتحديات، وعلينا أن نعي أن الإسلام استهدف إنشاء أمة عالمية تقوم على المباديء والأصول الدينية، وليس على حفظ الذات، وتنازع البقاء، ولهذا يقول محمد فريد وجدي " بث الإسلام في روح المسلمين وعياً عالمياً، ووطد قواعده في عقولهم ونفوسهم، وطالبهم بالعمل به، وهو ما لم يسبق إليه في تاريخ أي أمة من الأمم، ويظهر ذلك بأجلي عبارة، وأقوم دليل في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ الحجرات (١٣)[٣].

---

(١) مهمة الإسلام في العالم ص٢٢٠ – ٢٢١، فصول من سيرة الرسول ص ١٣٥ – ١٣٦.

(٢) الإسلام في عصر العلم جـ٢ / ص٩.

(٣) معالم الإسلام ص١١١.

المبحث الثاني
من نقد الفلسفة اليونانية والإسلامية
إلى تأييد الحكمة القرآنية

على الرغم من الدور الذي تؤديه الفلسفة في الفكر الإنساني، فإن هناك العديد من المصلحين انتقدوها، ومنهم: محمد فريد وجدي الذي انتقد الفلسفة اليونانية، واتهمها بالقصور، فيقول "اشتغلت الفلسفة اليونانية قبل كل شيء كأساس لبنائها بمسألة الوجود المحسوس، وعلة نشوئه، وبمسألة الكائنات وحدوثها، وبمسألة الروح ومصادرها، وبمسألة الإنسانية وآدابها، وكان اعتمادها في كل هذا على الفكر والتأمل، وناهيك بقصورها في عهد الطفولة البشرية، ودائرة المجاهل الكونية، فجاءت الفلسفة مناسبة لهذه الحالة من القصور ولهذا يكون الاشتغال بهذه الفلسفة من ناحيتها النظرية، وخاصة في دور طفولتها إضاعة للوقت، وصرفاً للجهود فيما لا يفيد"[١].

ولا يعنى رفض محمد فريد وجدي للفلسفات اليونانية النظرية رفضه للأخذ بالعلوم العملية، ذلك لأن المسلمين لم يدخروا وسعاً في نقل الفلك والرياضيات، والطب عن اليونان، في حين يتخذ محمد فريد وجدي موقفاً رافضاً للفلسفة اليونانية في الحضارة الإسلامية ويرجع السبب في "إباء المسلمين عن قبول هذه الفلسفات؛ لأنهم علموا أن كل ما يكون مصدره الظن يكون خيالاً، وكل خيال ينقض بمثله، وأنهم ليسوا من الخيال في شيء"[٢]

ويتفق فريد وجدي مع محمد إقبال في موقفه من الفلسفة اليونانية حيث كان إقبال يرى أن "الفلسفة اليونانية مع أنها وسعت أفاق النظر العقلي عند مفكري الإسلام، إلا أنها غشت على أبصارهم في فهم القرآن"[٣] والسبب في

---

(١) فصول من سيرة الرسول ص١٠١ – ١٠٢.
(٢) المرجع نفسه ص١١٤.
(٣) تجديد التفكير الديني في الإسلام ص٨.

ذلك أن المعرفة عند المسلمين تبدأ من المحسوس، وتنزع إلى الملاحظة بخلاف المنهج الإغريقي الذي انحصر في الاستنباط من مقدمات جاهزة، وابتعد عن الطبيعة المحسوسة[١] واتفق معهما المصلح التركي سعيد النورسى الذي رأى أن "الفلسفة اليونانية خيرها قليل، وذلك لأن هذه الفلسفة كانت ملتصقة بالأساطير والخرافات والنزاعات الوثنية"[٢]

والواقع أن النقد السالف للفلسفة اليونانية ليس حديثاً بل انتقد أئمة الإسلام الفلسفة اليونانية، حيث رأى الإمام الشافعي أنه "ما جهل المسلمون ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب، وميلهم إلى لسان أرسطو"[٣] وقد انتقد الإمام ابن تيمية الأثر السلبي للفلسفة اليونانية على العالم الإسلامي، ويبدو في كتابات ابن تيمية المعارضة الحقيقية لهذه الفلسفة نتيجة لاختلاف مضمونها عن المضمون الإسلامي[٤] ولهذا قال محمد إقبال "انتهي الأمر بمفكري الإسلام إلى مناهضة الفكر اليوناني بعد أن أقبلوا في باكورة حياتهم العقلية على دراسته في شغف، وذلك لأنهم لم يفطنوا أول الأمر إلى أن روح القرآن تتعارض في جوهرها مع هذه النظرات الفلسفية القديمة، وبما أنهم وثقوا في فلسفة اليونان، وأقبلوا على فهم القرآن في ضوء الفلسفة اليونانية كان لابد من إخفاقهم في هذا السبيل، لأن روح القرآن تتجلى فيها الواقعية، في حين أن إنجازات الفلسفة اليونانية تميل إلى التفكير المجرد"[٥]، ويقول محمد فريد وجدي: إن أئمة الإسلام كانوا على حق حين كرهوا الاشتغال بالفلسفة اليونانية، وإن حجة الإسلام (الإمام الغزالي) كان على حق حين وصف الذين يشتغلون بها "بالتهافت" لأن الفلسفة اليونانية ضرب من الخيالات التصورية، وكان

---

(١) المرجع نفسه ص١٧٤.
(٢) صيقل الإسلام / للإمام سعيد النورسى ص٤١.
(٣) صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام / لجلال الدين السيوطى ص٥.
(٤) السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية / للدكتور محمد مصطفي حلمي ص٧٨.
(٥) تجديد التفكير الديني في الإسلام ص١٤٦.

استعصاء أئمة المسلمين على سلطات تلك الخيالات في عهد كان فيه سلطانها على العقول لا يستطاع دفعه، من أقوى الدلالات على سعة عقولهم، وسمو مداركهم، وعلى صحة التعاليم التي تمنعهم من الترامي عليها كما ترامت عليها أكثر الأمم[١].

وامتداداً لنقد محمد فريد وجدي للفلسفة اليونانية كان نقده للفلسفة الإسلامية، فيقول "لا توجد في الإسلام فلسفة مستمدة من الخارج يمكن أن توصف بالدينية أو الإسلامية، وكل ما وجد في عهد نهضة المسلمين أن أفراداً منهم أغرموا بالثقافة اليونانية القديمة، فأخذوا أخذها في الفلسفة، واشتغلوا بدراسة مذهبي أفلاطون وأرسطو، وأوسعوها تقليداً وشرحاً؛ حتى صاروا زعماءها على عهدهم، ولست أنكر أن هؤلاء حاولوا تطبيقها على الإسلام، وكل أئمة الدين في كل مكان وزمان أنكروا عليهم ذلك"[٢]، ومن ناحية أخرى يرى محمد فريد وجدي أن الفلسفة الإسلامية تعبر عن جموح العقل عند الخاصة وحديثهم في أمور لا تهم الناس، فيقول: "مما يدلك بدليل محسوس على أنهم كانوا يشتغلون بمسائل لا تهتم بها العقلية الإنسانية اهتماماً جدياً: أن أحداً ممن يعتد بعقله لا يشتغل بها اليوم، لا هنا ولا في أي بقعة من بقاع الأرض، فأي عاقل يستسيغ أن يسأل هل القرآن قديم أم محدث؟ وهل صفات الله متصلة به أم خارجة عنه؟ وهل مرتكب الكبيرة يعتبر مؤمناً أم كافراً؟ وهل أطفال الكفار يخلدون في النار...؟ الخ، مما توجبه الثقافة الناقصة، والعقلية القاصرة"[٣]، ومن ثم فإنه إذا كان هناك دين في الأرض تأبى طبيعته أن ينشأ فيه اعتزال وعلم كلام فهو الإسلام، ولكن جماحات العقول واندفاعات الميول حفزت إلى نشوء هاتين العقبتين من لدن القرن الثاني الهجري، وجرت إلى خلافات، ومنازعات يأباها الإسلام، ويتشدد في النهي عنها[٤].

---

(١) من معالم الإسلام ص٦٣.
(٢) مناقشات وردود ص٢٥٨.
(٣) المرجع نفسه ص١١٤.
(٤) المرجع نفسه ص٣٦٠.

وقد كان رفض محمد فريد وجدي للفلسفة الإسلامية وعلم الكلام امتداداً للموقف السلفي القديم للفقهاء الذين حاربوا بشدة علم الكلام بصفة خاصة "فقد ذهب الإمام مالك رحمه الله إلى أنه لا يجوز شهادة أهل البدع والأهواء، وقال بعض أصحابه في تأويله: إنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أي مذهب[١]. وقد ذهب الإمام أحمد بن حنبل إلى أن "علم الكلام زندقة، وما ارتدى أحد بالكلام إلا وكان في قلبه غل على أهل الإسلام؛ لأنهم بنوا أمرهم على أصول فاسدة، أوقعتهم في الضلال[٢]. ونقد الإمام الغزالي علم الكلام، فنجده يقول "أدلة القرآن مثل الغذاء، ينتفع بها كل إنسان، وأدلة المتكلمين مثل الدواء، ينتفع بها آحاد الناس، وتُضَرُّ به الأكثرية"[٣] وقد تراجع فخر الدين الرازي عن علم الكلام، رغم تركه للعديد من المؤلفات فيه، فيقول الرازي " لقد اخترت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن؛ لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلالة لله، ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات"[٤]، واتفق معهم الإمام ابن تيمية في التشكيك في قيمة علم الكلام، فيقول "أكثر الناس شكاً عند الموت أصحاب الكلام، المخالفون للسلف، وإذا حُقّق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله، وخالص المعرفة به خبر، ولا وقعوا من ذلك على عين ولا أثر"[٥] وهكذا نجد أن المواقف الرافضة لعلم الكلام – حديثاً – هي امتداد لمواقف قديمة في التراث الإسلامي.

ولا شك أن موقف محمد فريد وجدي الرافض للفلسفة اليونانية والإسلامية ناتج عما يعتقده بأن المسلمين لديهم حكمة أرقى منها، فالمسلمون لم يجافوا الفلسفة سذاجة، ولكن لأن لديهم فلسفة آتاهم إياها القرآن، تسمو

---

(١) الإسلام والعقل / للدكتور عبد الحليم محمود ص٤٣، وصون المنطق ص١٥.
(٢) شرح العقيدة الأصفهانية / للإمام أحمد بن تيمية ص١٠٤.
(٣) إلجام العوام عن علم الكلام / رسائل الغزالي للإمام أبو حامد الغزالي جـ٤ / ص٩٧.
(٤) فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية / لمحمد صالح الزر كان ص٦٤.
(٥) الرسالة الحموية الكبرى / للإمام أحمد بن تيمية ص١٦.

على كل فلسفة في الأرض، ولا ينكر محمد فريد وجدي أن الفلسفة اليونانية ثرية في الأصول المرقية لحياة البشرية، وفيما يرفع مستوى الإنسانية عن الحيوانية، ولكنها لم تبلغ شأن الحكمة الإسلامية في ذلك، ولم تصل إلى بعض ما وصلت إليه تلك الحكمة من تطوير الشعب الذي نشأ بين ظهرانيه، وشعوب كثيرة أخرى اتصلت به، ولا تزال تعمل في نفوس الأفراد والجماعات إلى اليوم وذلك لأن الفلسفة اليونانية اعتمدت على مجرد قوى التفكير والنظر، ولكن الحكمة الإسلامية اعتمدت على الفطرة الإسلامية، وهي واحدة في الناس جميعاً، وجعلت قوى التفكير والنظر خادمة ومعينة لها[١]، ومن ثم فإن الفلسفة اليونانية لم تخلق أمماً، ولكن الأمم هي التي خلقتها، وهذه الحكمة القرآنية أوجدت من العدم أمة كان لها أثر في الأرض لا يشتبه بغيره، ولا تزال الحكمة التي أوجدتها حية، وسينتهي الأمر بسيادتها على كل فلسفة في الأرض[٢].

ويبرز محمد فريد وجدي ميزات الحكمة الإسلامية فيقول "لقد عولت الحكمة الإسلامية على الفطرة، وأقامت التفرقة بين الحق والباطل، وبين الحسن والقبح، وبين النافع والضار، وبين ما يؤدي إلى التطور، وما يؤدي إلى الجمود، ولكن كيف لها، وتلك الفطرة التي فطر الله الإنسان عليها وعلق نجاته على إقامتها قد كسفتها العادات الوراثية، والتقاليد الجاهلية الخرافية حتى جعلتها كأن لم تكن؟! ومن ثم فإن تخليص الفطرة الإنسانية من كل هذه الأعراض يعتبر من الأعمال البعيدة الغور في تقويم النفس الإنسانية، وهو يمثل أكبر المعجزات الخالدة للإسلام"[٣] ومن ثم فقد حلى الإسلام ذويه بالحكمة، أي بمذهب عقلي يقيهم شر التورط في فلسفات عملية تؤدي إلى ضلالات بعيدة، وتدلهم على المحال والممكن من مواضيع النظر والاستنتاج، والاستدلال، حتى يصرفوا قواهم العقلية في أعقاب مطالب ليس وراءها فائدة عملية[٤]، وتتضح

---

(١) فصول من سيرة الرسول ص١٣٠.
(٢) مناقشات وردود ص٣١٧.
(٣) فصول من سيرة الرسول ص١٣٠.
(٤) المرجع نفسه ص٩٩.

الحكمة الإسلامية في الآية الكريمة ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ فصلت (٥٣) فالحكمة الإسلامية بهذا النص الصريح أساسها العلم الثابت المحقق، وليس الظن والفكر المجرد، كما هو شأن الفلسفة اليونانية وغيرها[١].

ونتيجة لإعلاء محمد فريد وجدي للحكمة القرآنية فإنه يطالب بضرورة العودة إليها، وذلك لأن "تداعينا إلى الرجوع إلى مبادئنا الأصلية القويمة أضمن لحياتنا، وأقرب لإصلاح أحوالنا"[٢] كما أن سبب تأخرنا هو عدم معرفتنا بالدين، ولابد من الرجوع إليه، ومن ثم فإنه لا سبيل إلى إصلاح حال المسلمين إلا بالرجوع إلى دينهم الفطري، خالياً من البدع التي ألصقت به، وإلقائهم بأنفسهم بين يديه، ولا يتأتى ذلك البتة إلا بإلمامهم بماهيته وأسراره، ووقوفهم على حقيقته وأنواره"[٣].

---

(١) المرجع نفسه ص١٠٢.
(٢) مقدمة المصحف المفسر ص٨٢.
(٣) الإسلام في عصر العلم جـ٢ / ص٢٢.

المبحث الثالث
موقفه من الحضارة الغربية

منذ احتكاك العالم الإسلامي بالحضارة الغربية الحديثة في مطلع القرن الثامن عشر، وهناك علاقة جدلية بين الإسلام والغرب، وقد انعكست هذه العلاقة على مواقف المثقفين في العالم الإسلامي تجاه هذه الحضارة ما بين القبول والرفض، وقد قسم محمد فريد وجدي هؤلاء المثقفين إلى ثلاثة أنماط رئيسة:-

١ - النمط المحافظ: يذهب محمد فريد وجدي إلى أنه "لا يعنى بالمحافظين زعماء السياسة، فإننا لن نتمتع بعد بالحكم النيابي، وإنما المحافظون عندنا هم الواقفون مع كل قديم، لا يرون الخير إلا فيه، ولا يرجون الحياة إلا به، ولديهم أن كل جديد - سواء في العلوم العقلية أو الصناعية - صورة مأخوذة عن القديم، فهم بهذه الروح الخاصة لا ينظرون لمدنية أوروبا إلا بالنظرة الساخرة المستحقرة"[(١)]، وهم ينتقدون كل ما في المدنية الأوروبية، ويلكونها بألسنة حداد، يعادون علومها وصنائعها، ويكرهون زخارفها وبدائعها، وماذا تفيد كل هذه الكراهية والعداوة، وهم لا يدرون جهات قوتها وضعفها، ولا أمكنة حياتها وقوتها[(٢)]، وهنا نلاحظ أن محمد فريد وجدي يبرر رفض الاتجاه المحافظ للحضارة الغربية من منطق اعتزازه الزائد بتاريخه، ودينه، وحضارته، ولكنه يرى أن هذا الاتجاه لا يملك القدرة على تقييم هذه الحضارة وبيان مواطن قوتها وضعفها.

وينتقد محمد فريد وجدي هؤلاء المحافظين فيقول "يعلم هؤلاء الناس أن علوم تلك المدنية أخذت بعقائد الناس (..) فلا يسعون لمطالعتها، ولا يرضون أن يطلعهم أحد عليها، خوفاً على عقائدهم، وإبقاء على يقينهم، ويكتفون بسب

---

(١) الإسلام في عصر العلم جـ٢ / ص١٢٠.
(٢) المرجع نفسه جـ٢ / ص٧.

من قال بها، وتكفير من يجاريهم في ذلك، والادعاء بأنها ضلالات، وأوهام، وخرافات، وأحلام، لا حقيقة لها إلا في ادمغه قائليها، مع أنها قد تكون حقائق طبيعية ومشاهد وجوديه"[١]، ويطالب محمد فريد وجدي أتباع هذا النمط بضرورة دحض شبهات العلم على العقائد بأدلة علميه ترد على هذه الشبهات.

٢ – النمط المتمدن: المتمدن من وجهة نظر محمد فريد وجدي: هو زعيم الحزب المضاد للحزب المحافظ، ويرى أتباع هذه النحلة أن مدنية أوربا هي أكمل وأجمل مظهر إنساني للعلم...، فهم عشاق المدنية في كل مجال مستسلمين لأفاعيها، مستنيمين إلى دوافعها، منقادين لتياراتها، ولديهم أن كل ما عارض المدنية من: نقل، أو حكمه، أو أثر، فلا محل له عندهم – لأنهم يعدونه معارضاً للطبيعة، وكل ما عارض الطبيعة زائل لا محالة[٢]، ويتضح هذا في موقف سلامه موسى (١٨٧٧ – ١٩٥٨) الذي يقول "يجب أن نرتبط بأوروبا، وأن يكون رباطنا بها قوياً، فنتزوج من أبنائها وبناتها، ونأخذ عنها كل ما يجد فيها من اختراعات، واكتشافات، وننظر للحياة نظرها، ونتطور معها في تطورها الصناعي، ثم في تطورها الاشتراكي والاجتماعي، ونجعل أدبنا يجرى وفق أدبها، بعيداً عن منهج العرب... فالرابطة الغربية هي الرابطة الطبيعية لنا"[٣].

ويرى محمد فريد وجدي أن أفراد هذا التيار قد نشأوا مؤمنين تحت سماء الشرق، وهو في دور الانحطاط القهقرى، فدعتهم دواعي الأحوال الاجتماعية إلى دراسة العلوم الأجنبية، والسفر إلى بلادها القصية، رآها هؤلاء الشبان، وقارنوها بما عهدوا في بلادهم، فوجدوا أن تقدم أوروبا نتيجة للتخلي عن الدين، والمقدسات، ولهذا وجد هؤلاء أنفسهم مسوقين إلى ترك العقائد[٤]، وما

---

(١) المرجع نفسه جـ٢ / ص٨.
(٢) المرجع نفسه جـ٢ / ص١٢٠.
(٣) اليوم والغد / لسلامة موسى ص١٨٩.
(٤) الإسلام في عصر العلم جـ٢ / ص٦٠.

يؤكد كلام محمد فريد وجدي هو قول سلامة موسى "نحن في حاجة إلى ثقافة أبعد ما تكون عن الأديان"[١].

وينتقد محمد فريد وجدي عدداً من المفكرين، لأنهم يعيشون متطفلين على موائد غيرهم، ويعيب على هؤلاء أنهم يعللون رقي هذه الحضارة بأمراضها، ويعزون رفعتها إلى جراثيمها، وقوفاً منهم مع الظواهر الفتانة، واكتفاء بالقشور الجذابة[٢]، كما أن هؤلاء المعجبين بحضارة الغرب إعجاباً لا حد له – وفي تحمسهم لعاداتها وأصولها، ونصْحِهم للأمة بالأخذ عنها – يساعدون في فعل تلك القوى المحتلة مساعدة خطيرة، للدرجة القصوى، ألا ترى أن تزاحم أمم أوروبا على فتح مدراس ببلاد الشرق، وتسديد المصاريف الطائلة عليهم، وهي أحق بها في بلادها، ماذا يعنى ذلك من تلك الأمم إن لم يكن السعي في نشر لغتهم وعاداتهم بيننا؟ تسهيلاً لتحليلنا؛ لما قرره لهم العلم من أن اللغة والعادات من أكبر المحللات لعناصر الأمم المستضعفة. فهؤلاء الذين يلقبون بعضهم بعضاً بالمصلحين هم أكبر أعوان تلك القوى المحللة من حيث لا يدرون، بل من حيث يريدون الإصلاح[٣].

٣ – النمط المستفيد:– يرى محمد فريد وجدي: أن هذا النمط غريم الفائدة يأخذها حيثما صادفها، وطالب الحكمة يلتقطها أنى وجدها، فهو قد وقف على شيء من آثار الجديد الساحر، وذاق جرعاً من هذا البدع الباهر، ولكنه مع ذلك مغرم بالقديم الآسر، مجل لمعهده الزاهر، معتقد أن المآل إليه... ولكنه مع ذلك لا ينكر فداحة الشبه الجديدة، وخطارة الشكوك الحديثة"[٤].

وينتمى محمد فريد وجدي إلى نمط المستفيد الذي لا يحقر الغرب ولا يهيم فيه، وأصحاب هذا النمط "أصحاب علم وبصر، فهم لا يدعون إليها – الحضارة الغربية – لأنه لا معنى لذلك، ولو دعوا إليها لأوهموا الناس أنهم يدعون إلى

---

(١) اليوم والغد ص٢٠٠.
(٢) الإسلام في عصر العلم جـ٢ / ص١٢٣ – ١٢٤.
(٣) المرجع نفسه جـ٢ / ص٢٥٢.
(٤) المرجع نفسه جـ٢ / ص٢٦٤.

قشورها من ملبس وملهي كما هو حاصل،ولكنهم يدعون إلى الأصول الأولية التي هي دعائم كل مدنيه، يدعون إلى الفضائل، ويزدجرون من الرذائل[١].

وأتباع هذا النمط يرون أن مساواتنا للغرب لا تتأتى بتقليده تقليداً أعمى، وأن نغفل عن أن للأمم أمزجة كما للأفراد، وأن بين الغربيين والشرقيين من التباين في القابليات، ووجوه الاستفادة ما لا يمكن لأحدهما أن يأخذ عن الآخر شيئاً إلا بعد قلب كيانه على صورة تناسبه، وتلائم طبيعته الخاصة[٢].

ويتخذ محمد فريد وجدي موقفاً انتقائياً من الحضارة الغربية فهو يطالب بأن نأخذ عنها العلوم والتقنية، ومظاهر الرقي الصناعي، ولكنه يطالب بإعطاء النقل عن الغرب شكلاً يناسب المزاج الشرقي، ويتفق مع الطبيعة الشرقية[٣] ولهذا فهو يقول عن نفسه: "إنني لست من أعداء المدنية الأوروبية، ولا من الواهمين في تقديرها، بل أنا ممن يتعقد أنها أفخم مظهر من مظاهر الرقي الإنساني في عالمي الصناعة، والعلم الطبيعي"[٤]، ويتفق محمد فريد وجدي مع الرؤية العامة لأقطاب التيار الإصلاحي في موقفهم من الحضارة الغربية، والتي تطالب بالنقل عن هذه الحضارة ما يفيد المجتمعات الإسلامية، ولا تعارض في الوقت نفسه معتقدات هذه المجتمعات، حيث نجد الأمير شكيب أرسلان (١٨٧١ – ١٩٤٦) ينتقد الاتجاه المحافظ، لأنه حرم العالم الإسلامي من ثمرات العلوم الغربية، فيقول: "إن الجاحد هو الذي شهر الحرب على العلوم الطبيعية، والرياضية، والفلسفية، وفنونها، وصناعتها، بحجة أنها من علوم الكفار، فحرم الإسلام ثمرات هذه العلوم[٥] في حين أن الذين يفهمون الإسلام – حق الفهم – يرحبون بكل جديد لا يعارض العقيدة، ولا تخشى منه مفسدة[٦].

---

(١) المرجع نفسه جـ٢ / ص٢٦٤.
(٢) المرجع نفسه جـ٢ / ص٢٢٢.
(٣) الموضع نفسه جـ٢ / ص٢٢٢.
(٤) المرجع نفسه جـ٢ / ص٢٦٢.
(٥) لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟ للأمير شكيب أرسلان ص٦٤.
(٦) المرجع نفسه ص٧٣ – ٧٤.

ويرفض محمد فريد وجدي طريقة التعامل مع الحضارة الغربية في فترته التاريخية، ويرى أن حالة الانحطاط التي نعاني منها سببها الفتنة بالحضارة الغربية، ولا يمكن مقارعة هذه الفتنة إلا بأصول أقوى من أصولها وهذه الأصول جاء بها الإسلام، وعلينا الرجوع إليها، وتقوية الحياة الدينية، ورفع مظاهر التأثير الغربي السلبي التي تسود مجالات حياتنا، وذلك لأن "السبب في تأخر المسلمين هو سوء فهم الدين، وحمله على غير المراد"(١).

ومن منطلق إعلاء محمد فريد وجدي لقيمة الأصول الإسلامية على الحضارة الغربية، فإنه يقارن بين المدنية الإسلامية، والمدنية الغربية، ويحاول أن يستخرج أصول المدنية الغربية من القرآن الكريم، ليثبت أن مدنية الإسلام قامت على أكمل الأسس المستمدة من السنن الكونية، وأنها سبقت المدنية الأوروبية بعشرة قرون في تقرير القواعد العالية؛ ليظهر للناس كلهم أن المسلمين لا يحتاجون إلى تقليد سواهم في أي شأن من الشؤون الإنسانية غير الصناعية التي هي ميراث العالم كله، تنقلها أمة إلى أخرى، وقد نقلناها نحن إلى الغربيين، كما نقلها إلينا غيرنا، وتظهر أصول المدنية الغربية في القرآن كالآتي:-

١ - الإنسان أشرف الكائنات الأرضية قال الله تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ التين (٤).

٢ - الإنسان مخلوق لاستخدام الطبيعة وتحسينها والاستفادة منها ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ الجاثية (١٣).

٣ - الإنسان بصفته أشرف الكائنات يجب عليه أن يأخذ أحسن الأشياء ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ البقرة (١٩٥).

٤ - لا يتم للإنسان كماله إلا بالعلم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الزمر (٩).

---

(١) المدنية والإسلام ص١٤٩.

٥ – لا يجوز للإنسان أن ينساق مع الأوهام والظنون، أو أن يصدق ما لم تحققه الشواهد والبراهين، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ١١٦﴾ الأنعام (١١٦).

٦ – في الكون نواميس ثابتة ونسب مضبوطة للأشياء يرتبط رقي الإنسان بمعرفتها وتطبيق مساعيه عليها، قال تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ فاطر (٤٣)، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩﴾ القمر (٤٩).

٧ – تقرير حكم الشورى الذي تتفجر منه كل الحريات الضرورية للإنسان ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ آل عمران (١٥٩)، ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ الشورى (٣٨).

٨ – اختلاف المشارب ضروري لبقاء صرح المدنية، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ هود (١١٨).

٩ – إبطال الحقد الديني، قال تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨﴾ الممتحنة (٨).

١٠– الاعتدال رأس كل فلاح، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٤٢﴾ المائدة (٤٢).

١١– الثبات سر النجاح في الأعمال ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ النحل (١٢٧).

١٢– تقرير العدالة الكاملة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ﴾ الأنعام (١٥٢).

١٣– الإخاء، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ الحجرات (١٠).

١٤- التمايز لا يكون إلا بالمزايا الفاضلة، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ الحجرات (١٣).

١٥- السياحة، وتعرف سنن الصعود والهبوط في الأمم، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ الروم (٤٢).

١٦- المساواة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ الحجرات (١٣).

١٧- العلم غير محدود، ولم ينل الإنسان منه إلا جزءاً يسيراً، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ الإسراء (٨٥).

هذه هي أصول المدنية الغربية، وقد رأيت أنه لا يوجد منها أصل إلا هو مذكور بالنص في القرآن[١]، ومن ثم يرى محمد فريد وجدي "أن القرآن لم يردع عن نيل مدنية أرضية مادية، ولكنه أرادها مدنية كاملة، فاضلة يراعى فيها شأن الروح والجسم معاً، وقد حصل آباؤنا مدنية لا أستطيع أن أقول: إنها مدنية كاملة كما رسمها القرآن، ولكنها أفضل من مدنية أوروبا"[٢].

ويحاول محمد فريد وجدي أن يناقش الفكرة السيئة عن الإسلام ويرى "أن الأوروبيين معذورون في تصديق التهم ضد الإسلام والمسلمين، ولهم الحق في العمل ضدها، ماداموا لا يرون أمام أعينهم من مظاهر الدين إلا البدع التي اخترعها صغار العقول، وقبلها منهم العامة، وزادوا عليها أشكالاً من الأوهام والأضاليل، تنفر منها الطباع البشرية، وتنافي أصول المدنية، كيف نرجو أن يفهم الأوروبيون حقيقة ديننا وأنه الملاك الوحيد للسعادات كلها، وهم لا يعرفون من دين الإسلام إلا ما يرونه أمام أعينهم كل يوم، مثل الصياح في الطرقات خلف الطبول، وتحت الرايات، ومثل اقتراف أشد المنكرات المنافية للآداب والعقل في الموالد التي تقام في كثير من أجزاء القطر المصري، ومثل الاجتماع إلى حلقات كبيرة على مرمى

(١) الإسلام في عصر العلم جـ٢ / ص٢١٢.
(٢) مقدمة المصحف المفسر ص١٢٦.

ومسمع من ألوف المتفرجين، والصياح الشديد بالذكر فهل – والحالة هذه – نستطيع أن ننكر على من يعيب على ديننا أو يلصق به شائنات التهم؟ أليسوا معذورين في الفهم السيء مادامت فينا هذه المنكرات؟![١]

ويطالب محمد فريد وجدي بضرورة إصلاح الفهم الخاطيء للإسلام – وهو مطلب معاصر بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ – فيقول: على الشرقي المتنور واجبات:

أولها: تفهيم العالم أجمع أن الدين الإسلامي – فضلاً عن كونه بريئاً من الأضاليل التي ينسبها إليه بعض الكتبة، ومنزهاً عما يفعله العامة على مرأى من المتفرجين – فإنه ناموس السعادة الحقيقية، وملاك المدنية الصادقة، وهذا الواجب ملقى على عاتق أبناء هذه الملة الذين يعرفون اللغات الأجنبية.

ثانيها: أن يسعى عقلاء الأمة في محو البدع التي ظهرت في العالم الإسلامي، وصارت نقطة سوداء في جبين الشرق، وموضوع استهزاء لدى من عنده مسحة من العقل[٢].

وينتهي محمد فريد وجدي بعد بيانه لأصول المدنية الغربية – كما وردت في القرآن – إلى ضرورة الاستناد إلى أصولنا القرآنية، وليس أصول المدنية الغربية، وذلك لسببين:

- أولاً: لأن اتباع المدنية الغربية يحقرنا أمام أنفسنا، وأمام غيرنا.
- ثانياً: لأنه لا يتأتى أن تصح أمة بعلاج أمة أخرى مباينة لها: جنساً، ولغة، ومزاجاً، إلا إذا ركبت ذلك العلاج على مزاجها وقابليتها، كما فعلت أوروبا قبل قرون[٣].

ويتنبأ محمد فريد وجدي بقرب انهيار الحضارة الغربية بسبب موقفها من الإلحاد، وموقفها من المرأة، وانتشار الربا، فيقول "لا أغالى حين أقول: إن المدنية الأوروبية واهية الدعائم وشيكة الانهيار والتلاشي"[٤].

---

(١) المدنية والإسلام ص٦.
(٢) المرجع نفسه ص٧.
(٣) الإسلام في عصر العلم جـ٢ / ص٢٣٢.
(٤) الموضع نفسه جـ٢ / ص١٣٢.

المبحث الرابع
العلاقة بين العلم والدين

١- الصراع بين العلم والدين (إشكال غربي):

احتلت مشكلة العلاقة بين العلم والدين مساحة كبيرة في مؤلفات محمد فريد وجدي، حيث اهتم بالكشف عن طبيعة العلاقة بين العلم والدين، ورأى أن العلاقة بينهما أخذت شكل الصراع في الحضارة الغربية، وأرجع هذا الصراع لإفراط رجال الدين في ضغطهم على حرية العقل والعلم، واهتمامهم بحصر الأفكار في دوائر ضيقة لا يمكن اجتيازها، وزعمهم أن العقل عدو الدين، ولا سبيل لفهم الدين بواسطة العقل، ومنها: إقرارهم بعجزه عن إدراك الخالق، ومنها: حسبانهم مسائل خلق الكون من الدين، وتقدير الطبيعة بحسب أفكارهم، وقصر قواها،وعجائبها على ما وصل إليهم من الأقاصيص القديمة الخرافية[١] وكذلك فقد أقام رجال الدين الحكومات وأقعدوها، واستعانوا بالحكومات على أولئك الضعفاء – العلماء – فجعلوا عقوبة المتكلم بما لا يوحونه إلى الناس من العلم، ولا يقرونه عليه من المدركات: الحرقَ بالنار حياً، والتعذيب بالقطران، والقضبان المحماة على الجمر[٢].

ويتفق العلماني إسماعيل مظهر (١٨٩١– ١٩٦٢) مع محمد فريد وجدي في الكشف عن دور رجال الدين في أوربا في الاستبداد بالعلماء، فيقول "إن ذلك الخلاف لم يكن نتاجاً لعداء في طبيعة الدين يعاند طبيعة العلم، بل نعتقد أنه راجع إلى جهل الإنسان وغروره، وتمكن عواطف التسلط على العقول عند رؤساء الدين[٣]، ولا ينطبق هذا الكلام على الإسلام قدر انطباقه على المسيحية فيقول طه حسين (١٨٨٩– ١٩٧٣)" إن تبعات المسيحيين أثقل من تبعات

---

(١) مقدمة المصحف المفسر ص٢٤.
(٢) الإسلام في عصر العلم جـ٢ / ص ٤٠ – ٤١.
(٣) ملقى السبيل في فلسفة النشوء والارتقاء / لإسماعيل مظهر ص١٧.

المسلمين في مناهضة العلماء والمفكرين الذين أوذوا في ظل المسيحية، فتراهم كثيرين جداً، ومصدر هذا أن الإسلام حر طليق، لا يأخذ العقل الإنساني بما لا يطيق، ولا يكرهه على الإيمان بما لا يفهم، ولهذا فإن الإسلام أشد نصيراً للتجديد"[١].

ولقد أدى الصراع بين رجال الدين ورجال العلم – في القرن التاسع عشر – إلى حلول اعتقاد بالمنافاة التامة بين العلم والدين، وتقرر لديهم أنهما عدوان لدودان، وضدان لا يجتمعان، وسرت تلك العقيدة من العلماء إلى الأفراد، ومنهم إلى الخاصة فالعامة، فلم يسع الإنسان إلا الانحياز لجهة العلم مدفوعين بالضرورة، ومحفوزين بحكم الحاجة؛ لما يرون من خيرات العلم، وما يتنعمون فيه من اكتشافاته وابتكاراته[٢].

وكان من نتائج هذا الصراع تحميل الدين تبعة ما أصاب أوروبا من الجمود والجهالة أكثر من عشرة قرون متوالية، وإبعاد رجال الدين عن التدخل في الشؤون الحكومية، والإشراف على التطورات الاجتماعية[٣]، ويذهب محمد فريد وجدي إلي أنه قد تولد لدى هذه الأمم الغربية شعور بأن الدين عدو العقل، وأصوله مناقضة لمقررات العلم، وكلما اشتد مغتصبو السلطان الروحي في عنتهم ازداد هذا الشعور قوة، حتى صار عقيدة راسخة[٤] وأدى هذا – بلا شك – إلى انتشار النزعات المادية والإلحادية في أوروبا.

ويرى محمد فريد وجدي أن العلم الطبيعي جاء بعد أن فاز على رؤساء الأديان، ونجا من مخالبهم؛ لتخليص هذا الإنسان الضعيف من أيدي مستعبدين، وخلع كل تلك الكسف المتراكمة على فؤاده، ولبه من عقائد باطلة، وأوهام عاطلة، وتجريد فطرته مما يقف بها من أحوال النقص[٥]، جاء العلم الأوروبي ليضع حداً

---

(١) من بعيد / للدكتور طه حسين ص٤٦.
(٢) الإسلام في عصر العلم جـ٢ / ص٦٢.
(٣) مناقشات وردود ص٣٨٥.
(٤) مهمة الإسلام في العالم ص٢٠٢.
(٥) الإسلام في عصر العلم جـ٢ / ص١٥٣.

للأوهام لا تتعداه، ويرسم للعقول مجالاً لا تجاوزه إلى سواه، ويقرر للمدارك دستوراً تسير على مقتضاه، وحكماً بأن كل فكر لا يسنده دليل حسي، أو شاهد وجودي، وجب إلقاؤه في عالم الفروض والظنون، حتى يقر عليه الوجود أو ينفيه[١]، ومن ثم فقد صار العلم عند الأوربيين هو الوسيلة للتقدم، ومن أجل نمو العلم كان من الضروري إطلاق العقل من قيوده، وتحرره من أصفاده.

ويبرز محمد فريد وجدي نقطة في غاية الأهمية، وهي أن انطلاق العلم من عقاله أدى إلى انتشار النزعات المادية حيث "زعم الماديون أن العلم عدو العقيدة، وعدو كل ما يثمره الفكر المجرد، وأنه سينتهي هذا التنازع بين العلم والعقائد إلى تلاشي الدين، وطفقوا يفسرون كل مجاهل الوجود بالنواميس الطبيعية، ويحلون جل المشكلات الكونية بالقوانين المكتشفة، فوقعوا في تفريط مخجل، غايته تشويه حياة الإنسان، وسلبه أغلى مسلياته، والهبوط به إلى عالم الحيوانية السفلى"[٢]، ولقد اتخذ الماديون من نظرية دارون تدعيماً لمذهبهم حيث قضى مذهب دارون على بقية الاعتقاد في تعليل وجود الأنواع الحية، ونشوئها بناموس الانتخاب الطبيعي، وفي قيام الكائنات على نظام آلي بحت ليس فيه أثر لتدبير مدبر، وتنظيم منظم، فكان ظهوره نهاية للمعركة القديمة بين الماديين والروحيين، فتفردت المادية بالسلطان، وبلغ الغرور العلمي أقصى ما يمكن أن يصل إليه[٣].

ويذهب محمد فريد وجدي إلي أن النزعة المادية كانت موجودة قبل ظهور نظرية دارون ولكن ظهور النظرية دعمها، فيقول: "إن الشكوك والشبه ألمت بأفئدة أهل أوروبا منذ القرن الخامس عشر، وإنما نقول: إن مذهب دارون أكسب تلك الشبه صبغة ثابتة، وخلع من يد العقائد الرسمية ملايين تعد بالعشرات في سنوات قليلة، وجعل التكذيب بمقررات الأديان أمراً طبيعياً علمياً في نظرهم"[٤].

---

(١) المرجع نفسه جـ٢ / ص٤٤.
(٢) المرجع نفسه جـ٢ / ص٢١.
(٣) على أطلال المذهب المادي / لمحمد فريد وجدي جـ١ / ص٣٥.
(٤) ملحق الإسلام في عصر العلم جـ٢ / ص٦١.

ويرجع محمد فريد وجدي السبب في تراجع الأديان في أوروبا إلى خلط رجال الدين الدين بالعلم، فيقول "إنما طرأ الفساد على الأديان نتيجة لخلط رجالها العلم بها، والذهاب بها مذهب معقولاتهم، فيصبح الدين صورة علم الأمة وشكل معقولاتهم، فإذا ترقت في العلم لاحظت فرقاً بين علمها ودينها، فإذا تمسكت بدينها تأثراً بالوراثة جيلاً، فلا تلبث جيلين، فيثور حزب العلم علي حزب الدين، فتصبح الغلبة للأقوى. وحالة أوربا شاهد لما نقول"[١]، حيث انتهي الأمر بان أصبح طلاب العلوم الطبيعية خصماً عنيداً لطلاب الحقائق العلوية، حتى جاء زمان كان لا يجرؤ فيه الباحث فيما وراء الطبيعة – من العالم غير المنظور – أن يظهر نفسه، تفادياً من أن يسخر منه الناس، ويعتبروه من ذوي العقول الساذجة[٢]

ويتساءل محمد فريد وجدي "هل في العلوم المادية ما يقوم مقام الدين في إشباع حاجات الروح، وتهدئة النفس في جيشانها، هل فيها ما يغذي عواطف الروح، ويجعلها تقنع بنعيم الحياة الأرضية، وتكتفي بملاذها الجسدية؟ هل نمو العلوم العقلية ينتهي بالإنسان إلى اعتقاده بطلان الأديان، وإدراك فساد ما بنيت عليه من الأركان، فيكون الشأن تأخر الدين كلما تقدم العقل؟ حتى يتم إدراك الأمر بزوال الدين، وانتهاء سلطته، وقيام العقل مقامه في أداء وظيفته؟![٣]

ويرفض محمد فريد وجدي الاعتقاد الغربي بأن العلم سبب الإلحاد، فيقول "الإلحاد ليس بنتيجة العلم، ولا يمكن أن يكون كذلك في أي عصر من العصور. إن الأمر بعكس ذلك على خط مستقيم، بمعنى أن العلم يؤدي إلى الإيمان واليقين"[٤]؛ وذلك لأن الأبحاث العلمية تثبت أن الإحساس الديني هو غريزة في النفس الإنسانية، لا تقل في الوضوح والتأثير عن الإحساس بضرورة الغذاء[٥].

وكان محمد فريد وجدي يعي خطورة التيار العلمي العلماني في العالم

---

(١) الإسلام في عصر العلم جـ٢ / ص٢١١.
(٢) مناقشات وردود ص٢٦٤.
(٣) الإسلام في عصر العلم جـ١ / ص٧٠.
(٤) الحديقة الفكرية في إثبات وجود الله بالبراهين الطبيعية/لمحمد فريد وجدي ص٥٤.
(٥) المدنية والإسلام ص٣٦.

العربي، ذلك التيار الذي كان يرفض الثقافة الدينية، ويروج لمفاهيم العلم وفقا للنمط الغربي، ويرى أن هؤلاء فتنوا بالحضارة الغربية، فيقول " أما نحن الذين منينا بفتنة العلم الأوروبي، واستهدفنا لأفاعيله، فسيرتنا معه ستكون – بلا شبهة – كسيرة الأمم التي تقدمتنا، وقد لعبت تلك الفتنة بعقولنا دوراً هائلاً لا ينكره متبصر، ولقد علمنا أن هذه الفتنة لا تزول بالكلام ولا بالحسام، ولو كانت تزول بهما لزالت عن أوربا، وقد أحرق المسيطرون من أشياعها ما يقرب من نصف مليون من النفوس الأوربية. ولأن في هذه الفتنة حقاً وباطلاً، وحقها أكثر من باطلها فلابد أن يقاومها حق أكثر من حقها، وأفعل على العقول منه، وهو الدين الحق الذي لا شبهة فيه للباطل، ويكون الدين خادمه، وممهد الطريق بين يديه، أما دين فيه خلط من أباطيل، وجزء من أضاليل فلا يقوى عليه أبداً، ولا يجتمع وإياه في قلب رجل، ولا دليل بعد الواقع، ونحن نقول: إن ذلك هو الدين الحق"[1] ويعني وجدي بالدين الحق دين الإسلام.

٢- الإسلام والعلم (سياق مغاير للغرب)

بعد أن أظهر محمد فريد وجدي كيف أن الصراع بين العلم والدين إشكال غربي خالص، فإنه من ناحية أخرى حاول أن يقدم التبرير الديني لأهمية العلم في الإسلام، حتى ينقل المسألة إلى وجهة مغايرة لطبيعة العلاقة بينهما في الحضارة الغربية، فيقول "لا يوجد دين من الأديان، ولا نظام اجتماعي – من النظم المعروفة قديماً وحديثاً – يبلغ شأن الإسلام في رفع شأن العلم والتنويه بقيمته، وفي الدعوة إليه، والتعويل عليه، فيقول تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ﴾ آل عمران (١٨) ورفع من قدر العلم إلى حيث لا مرتقى بعده ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ﴾ الزمر (٩).

---

(١) الإسلام في عصر العلم جـ / ص١٧٦.

كما حدثنا رسول الله عن فضل العلم بقوله (ﷺ): "لموت قبيلة أيسر من موت عالم"*، وقال أيضاً: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"[١].

ومن ثم فقد نبه الإسلام إلى ضرورة العلم، " وجاءت الديانة الإسلامية ففكت أصفاد العلم، مقررة أنه من الظلم الشائن، والاعتساف المهين: تقييد العلم بقيد، أو تحديده بحد، فقد فتح الإسلام للعقول أبواب العلوم الصادقة، والمعارف الحقة، وأراهم أن طلبها، والسعي في اكتسابها هو مما يُعبد به الخالق جل شأنه، ولا يعقل أن يعارض الإسلام علماً أو يصادم حكمة، نعم لم يأت الإسلام ليعلم ذويه نواميس الجذب والتنافر، ولكن أتى بالدعوة إلى تعلمها، وتبكيت الغافلين عنها، فقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ يوسف (١٠٥)[٢].

ويذهب محمد فريد وجدي إلى أن التوجيه الإلهي أقام المسلمين – منذ أول نشوئهم – على أمثل الطرق المؤدية للحقائق، فلا غرو أن يهتدي المسلمون إلى حقائق علمية، ومناهج حكمية، وأصول اجتماعية لم يهتد إليها من سبقهم في الاجتماع والثقافة بعشرات القرون[٣]، وذلك لأن الإسلام يفتح باب الطبيعة على مصراعيه في وجه ذويه، ويدعوهم للتفكير في جميع كائناتها، ما جل منها وما حقر، ولهذا فإن المسلمين الأولين قد ألقوا بأنفسهم في باحات العلم مطلقين غير مقيدين، فلم تكن هناك سلطة دينية تحاكم العلماء على الفتيل، وتحاول أن تجعل العلم والعقل تحت وصايتها، فتقف حجر عثرة في سبيله[٤]

---

* رواه الطبراني، وابن عبد البر، من حديث أبى الدر داء، انظر هامش إحياء علوم الدين للحافظ زين الدين العراقي، ط دار البيان العربي، جـ١/ ص ٦.
(رواه ابن ماجه وغيره، انظر الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى، دار الريان للتراث، جـ١/ ص٩٦.

(١) مهمة الإسلام في العالم ص١٠٧ – ١٠٨.
(٢) المدنية والإسلام ص٦٩.
(٣) من معالم الإسلام ص٩٢.
(٤) الإسلام دين الهداية والإصلاح ص٥٤.

ويرد محمد فريد وجدي على الذين يدعون أن أسس الإسلام تناقض العلم فيقول: "لو درس الإسلام درساً صحيحاً لتحقق قبل كل شيء أنه ليس فيه أسس تناقض العلم[١]، وليس في الإسلام عقيدة لا تنطبق على قوانين العقل والحس معاً[٢]، ومن ثم فإن الذين يقولون: إن الإسلام يناهض العلم، وأهله ما أخذوا في أسبابه إلا معاصاة لدينهم، هؤلاء الخصوم يتجاهلون أخص مميزات هذا الدين، فإن الدين الذي ينصب العقل حكماً بين الحق والباطل، ويدعوا إلى التفكير في العشرات من آياته، ويحض على النظر والتفكير في كل شيء بعبارات تأخذ الألباب بلاغةً وحكمةً نقول: إن مثل هذا الدين لا يعقل أن يوصم بأنه يجافي العلم، ومرتكب هذه الفرية لا يجب أن يوصف بالعدوان للمنطق، ولكنه يجب أن يوصف بأنه يجهل الموضوع الذي يكتب فيه كل الجهل[٣].

وإذا كان الإسلام يدعو إلى العلم فما هو السبب في نقل إشكال ثقافي غربي إلى العالم الإسلامي؟ يجيب محمد فريد وجدي بأن أول من أثار هذه المشكلة في العالم الإسلامي مجموعه من النخبة التي تعلمت في أوربا، حيث أرسلت البلاد عدداً كبيرا إلى أوربا لرؤية أسرار المدنية عن قرب، فلم يكد هؤلاء الشباب يشرفون على تلك المعاهد الفخيمة، ويرضعون ثدي العلم الجديد حتى أحسوا بالبون الشاسع بين ما ورثوه عن آبائهم من العقائد، وبين ما عليه الوجود من الفخامة والجلال، فسرى الشك في نفوسهم سريان النار في الهشيم فعادوا إلى بلادهم وفي نفوسهم من الهواجس والشبه ما فيها، فتظاهروا بالتفرنج والتقليد، وتركوا من العادات ما لا يتفق والفكر الجديد[٤].

وبالإضافة إلى دور التيار التغريبي في زحزحه العقائد فإن محمد فريد وجدي يتهم رجال الدين الإسلامي بأنهم السبب فيما يحدث؛ لأنهم لم يستخدموا منتجات العلم لتقرير حقائق الدين، فيقول: "إن أكبر سبب لتراخى روابط الدين

---

(١) المدنية والإسلام ص٣٣.
(٢) الحديقة الفكرية ص٨٦.
(٣) مهمة الإسلام في العالم ص١٢٦.
(٤) الإسلام في عصر العلم جـ١ / ص٦٣.

في قلوب بعض المتعلمين اليوم هو – ولا شك –: عدم استخدام العلم لتقرير حقائقه، و كما كانت هذه عادة آبائنا الأولين، وسنتهم في نشر الدين، ولهذا الإهمال ظن أولئك المتعلمون أن أسلحة الإسلام أقل مضاء من أسلحة علومهم الكونية، فانتبذوا لأنفسهم مكاناً بعيداً عن إخوانهم في المدركات والعقائد"[١].

ويرد محمد فريد وجدي على أصحاب الاتجاه العلمي الذين يرون أن العقيدة تمر بثلاث مراحل أو أدوار:

أولها: دور الاحترام والإجلال.
وثانيها: دور الشك والارتياب.
وثالثها: دور العلوم والمعارف.

وأننا نعيش دور العلوم الآن، وأن دور الدين قد انتهي، فيرى أن هذه المقولة إن صدقت في نسق صروح العقائد التي أنس بها الإنسان في دور طفولتها فلا تصدق على الإسلام الذي أرسله الله للإنسان عندما بلغ رشده، وسئم من الوصاية عليه، ومن ثم فإن دور الشك وإن صح على العقائد الأخرى فلا يصح على الإسلام بوجه من الوجوه، والإسلام لا يعاقب الشاك أو المتشكك بالحرق بالنار أو بالصلب، بل بدوائه الحقيقي، وهو العلم[٢]، ومن ثم فإن محمد فريد وجدي يؤكد أن دور الشك في العقائد لا يمكن أن يطرأ على الإسلام، لأن الإسلام حث ذويه على النظر في الكون، والنفس، واكتشاف أسرار الكائنات، فهو لا يعارض العلم.

والسبب في أن الإسلام لا يجافي العلم: أنه "حاصل على أرقى ما تتوق إليه النفس من مطالب روحية، وكمالات نورانية، وعواطف قلبية، وحاصل على أقصى ما يتمناه العلم من معاداة الخرافات، ومجافاة الظنون، والوقوف بالنفس موقف الطهر في اعتقاد الأوهام، واقتضاء أثر الخزعبلات، وتسليم النفس للقادة المضللين[٣].

كما أن الإسلام ليس فيه هيئة دينية بيدها الحل والعقد في أصول الدين

---

(١) المرجع نفسه جـ١ / ص٦.
(٢) الإسلام في عصر العلم جـ١ / ص١٦٨.
(٣) المرجع نفسه جـ٢ / ص١٧٢.

وفروعه، وحمل الناس على اتباع ما تقرره، على نحو ما عليه الحال في الأديان الأخرى[١].

ويرى محمد فريد وجدي أن الإسلام ينزل الإنسان منزلة الراشد، ولم يكلفه من العقائد إلا ما لو خلا ونفسه لاهتم بها، إنها نتيجة عواطفه المغروزة في طبيعته، وقلنا: إنه لو شك فيها يعالجه بعلاج الشك – وهو العلم – لا بالضغط على فكره، أو حرق جسده، كما فعل غيره، ولهذا جعل العلم قوام الدين، وملاك اليقين، حتى فرضه على عموم أبنائه من ذكر وأنثى[٢] وقد أسهم الإسلام في وضع أسس تؤدي إلى تقدم العلم، وأهمها الحرية، فيقول "لما كان أخص خصائص المتدينين المحافظة والحرفية، وكان العلم لا ينمو ولا يتطور إلا في جو من النظر الحر، والاستقلال عن جميع الاعتبارات الاعتقادية، فقد حاطه الإسلام بحوافظ تحميه من شر الجمود والرجعية، ومضى العلم في الأمة الإسلامية حراً طليقاً من جميع القيود، مما لم يكن له مثيل في أمة من أمم العالم[٣].

وإذا كان الإسلام يدعو إلى العلم فهل يعضد العلم الإسلام؟ يجيب محمد فريد وجدي بأن العلم يعضد الإسلام؛ ذلك لأننا لو تأملنا منابع العلوم الطبيعية وجدناها في خصائص العقل والحس، فأما العقل فقد رفع الإسلام من شأنه لدرجة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الأمم المتدينة، حتى إنه جعله مناط الإيمان، وأصل اليقين، فقال صلى الله عليه وسلم: "الدين هو العقل، ولا دين لمن لا عقل له" بل طالبنا بتطبيق أصولنا الدينية على العقل؛ حتى تطمئن النفوس على عقيدتها، ولا يخامرها الشك... وأما من جهة الحس: فلا يتصور أن الإسلام يهب العقل مثل ذلك السلطان، ولا يعلق على أحكام الحس أهمية، فالإسلام قضى على الوهم والظنون – وهما يقابلان الحس – وقرر بعد ذلك أن أحكام الحس لا تقبل جدالاً ولا تحتمل مماراة[٤]، ومن ثم فالإسلام ليس بالدين الذي

---

(١) المرجع نفسه جـ٢ / ص١٦٥.
(٢) فصول من سيرة الرسول ص٦٨.
(٣) الحديقة الفكرية ص٦٥.
(٤) المدنية والإسلام ص٨.

تعارضه العلوم العصرية، والحقائق الفلسفية، بل هي مما تزيده تثبيتاً، وتزيد متبعيه إيماناً " فالإسلام دين خدمته العلوم الطبيعية، فلا قاعدة دلت عليها التجارب، ولا نظرية تأسست بشهادة المشاعر يكون لها أثر في ترقية الإنسان، وتحسين بناء العمران إلا وهي صدى صوت لآية قرآنية، أو حديث من الأحاديث النبوية حتى يتخيل للرائي أن كل نشاط يحصل عليه علماء الكرة الأرضية في سبيل رفعة شأن الإنسانية لا يصدقها إلا إقامة الحجج التجريبية على صحة قواعد الديانة الإسلامية بقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ فصلت (٥٣)[١].

ويظل هناك تساؤل، ماذا إذا تعارضت نظريات العلم مع النصوص القرآنية؟

يجيب محمد فريد وجدي بأن الإسلام يستطيع أن يخرج من هذا التعارض الظاهري من خلال مبدأ "التأويل" لقد عمل آباؤنا الأولون تحت حماية هذا المبدأ الأصولي الجليل "التأويل" فلم يصادفهم من خطر على عقائدهم واستفادوا من وسائله على أوسع ما تسمح به، فكانوا السباقين إلى أسرار الصناعات، وأساليب الإبداع، مما جعل مدنيتهم المادية من الرفعة في مستوى عقائدهم الدينية[٢]، فقد قرر المسلمون في أصولهم صرف الألفاظ التي تأتى مناقضة لمقرراته عن ظاهرها؛ لتتفق مدلولاتها معها، فقبلوا ما هو ثابت ثبوتاً قاطعاً ككروية الأرض، وحركتها حول الشمس، ولكنهم ما فعلوا ذلك استخفافاً بالدين، ولكن عملاً بتعاليمه، فإنه نص على أن أساس الإسلام ما يثبت بأحكام العقل، ومقررات العلم، ولا يخفى أن الألفاظ التي يعتريها من ناحية الفنون البلاغية – كالمجاز، والاستعارة، وحالات أخرى – تجعل التأويل ضرورة، فقد ورد في الكتاب الكريم ما يوهم أن لله وجهاً، وسمعاً، وبصراً، ومكاناً... الخ والتنزيه الذي كرره القرآن ينافي ذلك كله، فكانت الحاجة إلى التأويل لا محيد عنها، من هنا أصبح التأويل أصلاً من أصول فهم القرآن على

(١) المدنية والإسلام ص٤٠ – ٤١.
(٢) من معالم الإسلام ص٦٣.

حقيقته، فطبقوه على المسائل العقلية والعلمية، مما يكون في شأن القرآن ما يناقضها في الظاهر[١]، ومن ثم فإن الإسلام بما قرره من مبدأ التأويل متى أثبت العقل والعلم صحة شيء يخرجه من هذا المأزق مرفوع الرأس موفور الاحترام"[٢] ونحن نرى أن فريد وجدي باعتماده مبدأ التأويل يحيى تراث الإسلام العقلي كما جاء عند المعتزلة، وابن رشد الذي اعتمد مبدأ التأويل فى كتابه (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال) حيث طالب بتأويل الظني، أو المتشابه الذي يتعارض مع حكم العقل.

وبعد العرض السالف يتساءل محمد فريد وجدي "لم لا يتفق العلم والدين، ويكون الأول مؤيداً للثاني، وناصره، وحامية من شائبات الشكوك، ومؤازره، مادام العلم منتزعاً من أشياء الكون، والدين وحى من خالقه؟ وهل يعقل أن يكون وحي سماوي مخالفاً لوضع طبيعي، وكلاهما مستمد وجوده من خالق واحد تتنزه أفعاله عن التناقض، وتتعالى إفاضته عن التعارض"[٣].

ومن ثم يرى محمد فريد وجدي أن المسلمين استطاعوا أن يتجاوزوا صراع العلم والدين رغم أن شعوب أوروبا لم تقو فيها الوراثة الدينية على صد كتائب الشبه والشكوك، فجنح إلى الإلحاد عامتها وخاصتها، وجاهر الكل بنبذ الدين على حد سواء، وفي المقابل نرى أن المسلمين ثابتون على دينهم مبشرون بعقائدهم، فلماذا تشتد آثار الوراثة الدينية على المسلمين، وتضعف عند الآخرين؟ أليس لكون الإسلام سلطاناً قوياً على العقول والأرواح يصعب إن لم نقل: يستحيل زحزحته عن مكانه[٤]؟، والسبب في صمود الإسلام ضد شبهات العلم: أنه "ليس بين يدي العالم اليوم كتاب سماوي حافظ لصبغته الإلهية الأصلية، وضامن للدين مركزه السماوي، ونقاءه الفطري، ونزاهته عن الخيالات إلا هذا الكتاب الكريم القرآن الذي أوحاه الله إلى رسوله الكريم"[٥].

---

(١) فصول من سيرة الرسول ص١٧١.
(٢) من معالم الإسلام ص٦٣.
(٣) الإسلام في عصر العلم جـ١ / ص٥.
(٤) الإسلام في عصر العلم جـ٢ / ص ١٨٩.
(٥) المرجع نفسه جـ٢ / ص١٨٩.

ورغم سعى محمد فريد وجدي الحثيث إلى التوفيق بين العلم والدين، واعتماد مبدأ التأويل حين تتعارض نتائج العلم مع نصوص القرآن، فإنه يعلى من شأن الإسلام على العلم، فيقول "إن علم أوروبا ومبانيه لوقيس بالإسلام الحق وقوانينه لما ظهر لها رونق، ولشعر المقارن بينهما بفارق لا تسده العلوم الطبيعية[١]، إن الدين الفطري فوق العلم، وفوق الفلسفة، لا بمعنى أنه ينافيهما، أو يخالف أصولهما، ولكن بمعنى أن طبيعته أسمى منهما، فالدين ميل فطرى عام، مالك لسائر أهواء الإنسان، وحاكم على جميع ملكاته، وأما العلم والفلسفة فأمران وضعيان، قابلان للتكمل في كل آن، وكل أمة تجاري على إخضاع الدين للعلم تكون قد قلبت دينها علماً، ومتى صار الدين علماً صار قابلاً للأخذ والرد، ومحلاً للتنابذ والتخاصم، ثم إن الأمة التي جعلت دينها علماً تعرضه للتبدل والتغير على مر الأجيال وترقى المدارك"[٢].

ولكن يظل هناك تساؤل هام، كيف يعضد العلم العقائد الدينية؟ هذا ما سوف يتضح في رده على الماديين.

---

(١) المرجع نفسه جـ٢ / ص١٧٤.

(٢) المرجع نفسه جـ٢ / ص١٨٩.

المبحث الخامس
الرد على الماديين وإثبات وجود الله

تعتبر قضية الماديين، وإثبات وجود الله من القضايا التي أتاح فيها علم العقيدة استخدام العقل إلى أقصى درجة ممكنة، وتوظيف كل منتجات العلوم من أجل إقرار قضايا التوحيد، ولهذا فقد أطلق علماء أصول الدين على هذا المبحث اسم (العقليات) نتيجة للمساحة الكبرى التي يحتلها العقل في هذا المبحث.

١ – الرد على الماديين:

أدى التقدم العلمي في أوروبا إلى التحرر من اضطهاد رجال الدين، ولكنه في نفس الوقت أدى إلى نشر النزعات المادية والإلحادية، ورغم أن لهذه النزعات أصولها القديمة فيقول محمد فريد وجدي: "إن النزعة المادية ظهرت في حضانة الفلسفة قبل أكثر من ألفي سنة، ولا سيما في بلاد اليونان، ومازال المذهب المادي يتجرد من حشوه الرث على نسبة تقدم العلم إلى أن وصل في القرون الأخيرة إلى دعوى مجردة عن الأدلة، أساسها استبعاد أن يكون في الكون قوة خارجة عنه، محتجاً بأن فيه من آثار التطورات التدريجية والمحاولات الفاشلة – من الشرور والدوافع القوية – ما لا يتفق وافتراض تلك القوة المدبرة"[١]، فمع تقدم العلم في القرن التاسع عشر جعل البعض يقول: إن كل ما كان للأقدمين من الأقوال في الروح والملأ الأعلى إن هي إلا خيالات لا تعدو ما عليه الطوائف المنحطة في سلم الارتقاء[٢].

وقد صاحب التقدم العلمي ظهور فلسفات مادية، مثل الفلسفة الوضعية عند أوجست كونت (عالم الاجتماع الفرنسي) وكانت هذه الفلسفة ترى "أن كل معقول لا يؤيده مشاهد من الحس جاز أن يكون ضلالاً، ولما كانت أسس الدين

---

(١) فصول من سيرة الرسول ص٥٥.
(٢) على أطلال المذهب المادي جـ١ / ص٣١.

من عقيدة الروح، وخلودها في دار غير هذه الدار مما لا يمكن الاستدلال عليه بمحسوس جاز أن تكون ضلالاً لا حقيقة له في دنيا الواقع، فهي – على أسلوب هذا المذهب المادي الكثير الأشياع – من قبيل ما لا يمكن إثباته، وما لابد من عدم الخوض فيه"[١].

ويشرح محمد فريد وجدي مؤدي هذا المذهب بأن أصحابه يقولون: إن الوجود قديم، وإن المادة هي مصدر كل كائن ومرجعه، تلازمها خصائص لا تنفك عنها، تصلح بأن ترقى بها الجماد الذي لا يعي إلى أكبر فيلسوف ألمعي بتدرجها في أدوار متعاقبة، مقودة بنواميس ثابتة عاملة على نظام آلي بحت، لا أثر للعقل والشعور فيه، فكل ما ينفك من آثار التدبير والتعقل ينتهي بالتحليل العلمي إلى المادة الأولية وخصائصها الذاتية، وكل ما عدا هذا عما أتت به الأديان والفلسفة من وجود عقل مدبر، وروح مفكر، وعالم ما وراء هذا العالم فزخارف كلامية، ولدها الخيال، وتمسك بها الجهال[٢]، لقد حكم هؤلاء بأن نواميس الكون كافية في تعليل كل ظواهره، وقوانينه قد فسرت أكثر غوامضه فلا داعي لفرض قوى وراء الطبيعة، ولا موجب لتوهم عالم علوي وراء هذا المرئي المحسوس، أما الوجود فقديم، إن لم يكن بصورته فبمادته الأولى، وأما القوى التي تصرفه فلا استقلال لها في ذاتها، بل هي صفة مادته الأصلية[٣] ويرى محمد فريد وجدي أن هذه الطائفة أنكرت الروح، والخلود، والبعث، والحشر، والعقاب، والثواب، وزعمت أن ذلك كله من خيالات الأفكار القديمة، وبقية من بقايا السالفين، سيلاشيها العلم والعرفان، ويجعلها التمدن في زوايا النسيان[٤].

وهنا نتساءل، كيف انتقل المذهب المادي إلى العالم الإسلامي؟ يجيب محمد فريد وجدي بأن المذهب المادي قد انتقل على يد بعض أفراد النخبة

---

(١) الإسلام في عصر العلم جـ١ / ص١٢.
(٢) على أطلال المذهب المادي جـ١ / ص٤.
(٣) الإسلام في عصر العلم جـ١ / ص١٠.
(٤) الإسلام في عصر العلم جـ١ / ص٢١.

فيقول "لقد قابلتنا أوروبا من جهة العقائد بحشو رث من أفكار فلاسفة القرن الثامن عشر الميلادي، وأوائل القرن التاسع عشر، فنفذت أصولهم المادية إلى أذهان الطبقة الملتصقة بها وبتقاليدها منا، وسرى منهم إلى من دونهم، وهي في كل دور تتطور وتتشكل على عقول الطائفة التي تحل فيها، حتى وصلت إلى العامة، لابسة ثوباً يظنه راؤوه عامياً شرقياً، وهو نسيج أوروبي، وإنما صبغته الأفكار المنحطة، والمقتضيات الساذجة بصبغة مختلفة، يظهر للرائي أنها منقطعة العلاقة، بأوروبا وهو منها أصلاً "[١].

ومن أشهر ملاحدة الشرق: إسماعيل أدهم (١٩١١-١٩٤٠) صاحب رسالة "لماذا أنا ملحد" والذي كان ينكر العقائد، ويقول: "إن الإيمان بوجود إله يرجع إلى جهل الناس بحقيقة الطبيعة والإصغاء للكهنة الدجالين الذين ابتدعوا فكرة الله، لخداع الناس وتضليلهم، وابتزازهم"[٢]، وكان إسماعيل أدهم يسير على درب ملاحدة أوروبا، أمثال هولباخ (فيلسوف فرنسي)، وداروِن (عالم البيولوجيا)، ورسل (فيلسوف إنجليزي).

وقد انتقد محمد فريد وجدي أقطاب النخبة العلمية العلمانية في مصر – أمثال سلامة موسى، إسماعيل مظهر، ونيقولا حداد، ويعقوب صروف... إلخ – لأنها روجت للنزعات المادية، ويرى محمد فريد وجدي أن ما فعله هؤلاء جاء نتيجة الافتتان بمدنية أوروبا وعلومها وإلحادها، وهذا الافتتان علامة واضحة على تحلل عناصر القوة في مجتمعاتنا الإسلامية.

ويوافق محمد فريد وجدي علي ما سبق أن قاله جمال الدين الأفغاني من أن ظهور الماديين في أمة هو علامة واضحة على تحلل هذه الأمة، فيقول الأفغاني: "إن طائفة الدُّهْرِيين كلما نجمت في أمة أفسدت أخلاقها، وأوقعت الخلل في عقولها، وتخطفت قلوب آحادها بأنواع من الحيل، وألوان من التلبيس، حتى تصبح تلك الأمة وقد وَهَى أساسُها، وتفطر بناؤها، واغتالتها رذائل الأخلاق من الأثرة، وعبادة الشهوة، والجرأة على ارتكاب الخيانات"[٣].

---

(١) المرجع نفسه جـ٢ / ص١٣٥.
(٢) ثقافتنا العربية بين الإيمان والإلحاد / للدكتور عصمت نصار ص٢٧٨.
(٣) الرد على الدهريين / لجمال الدين الأفغاني ص١٧٤.

وإذا كان الاتجاه المادي يدعم إلحاده بمنتجات العلم فإن محمد فريد وجدي يطالب أصحاب العقائد بدحض هذه الشبه من جهة العلم؛ "لأنه إذا بقيت تحديات المذهب المادي قائمة، ولم تتقابل بما يدحضها من الطريق العلمي ظلت ثابتة قوية، وظل الدين حيالها ضعيف الحجة، ليس له من عاصم غير التسليم، ولن نرضى هذا الضيم، والفرصة أمامنا سانحة للحصول على الدليل المحسوس"[(١)]، ولا شك أن مطالبة محمد فريد وجدي بالأخذ بالدليل العلمي نابع من أن العصر الذي نعيش فيه أصبح القول الفصل فيه للعلم، وهو من جملة المقررات اليقينية على الوجود وكائناته، مما سيرتب عليه أصول الدستور العلمي، فكل قول لا يحصل على تأييد العلم، أو على القليل من تأييده، لا ينال من العقلية العصرية المكانة التي يراد أن تكون له[(٢)].

ونتيجة لإعلاء محمد فريد وجدي من قيمة الدليل العلمي فإنه يرفض اتباع الطرق الكلامية في الرد على الماديين، فيقول "إن الشبه حول العقائد قد تردت في الأنفس الإنسانية من زمن مديد، فكان علماء الكلام يحاربونها بالأسلحة العلمية النظرية، أو القضايا الكلامية المنطقية، ولكننا اليوم في عصر تشعبت الأفكار فيه، وظهر القول: بأن العقيدة إذا لم يسندها من جهة الحس دليل ملموس جاز أن تكون خرافية"[(٣)]، ويذهب محمد فريد وجدي إلى أنه إذا كان خصومنا يعتمدون على الفلسفة الحسية والعلم الطبيعي في الدعوة إلى مذاهبهم فسنجعلهما عمدتنا في هذه المباحث، بل لا مناص من الاعتماد عليهما لأنهما هما اللذان أوصلا الإنسان إلى هذه المنصة من العهد الروحاني الجديد، وكل الفرق بيننا وبينهم أنهم يعتمدون عليهما وهما في دور النقص، ونحن نعتمد عليهما وهما في دور التكمل والنضوج[(٤)]، وكان هدف محمد فريد وجدي من توظيف العلم حماية أصول العقائد من المد الإلحادي الغربي، حتى تسلم العقائد من التحلل.

---

(١) من معالم الإسلام ص٦٧.
(٢) السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة ص٤١.
(٣) الإسلام في عصر العلم جـ١ / ص٢٠٠.
(٤) على أطلال المذهب المادي جـ١ / ص١٦.

ويبدأ محمد فريد وجدي نقده للماديين بمحاولة إبراز حدود العلم، فنفى قدرته على تفسير كل شيء فيقول للماديين: "أنتم تقولون: العلم يثبت، العلم ينفي، العلم يأمر، العلم ينهى، وبالتالي فأنتم تضعون على شفتي هذا العلم المسكين هذه الكلمات الضخمة، وتدخلون إلى فؤاده هذه الكبر والعجب، لا يا أيها السادة، إن العلم في هذه المسائل – ما وراء الطبيعة – لا ينكر شيئاً، ولا يثبت شيئاً، ولكنه يبحث، وأنتم تعلمون ذلك كله، ولا تجهلونه"[١] فالعلم في الحقيقة ليس إلا إدراكاً لظواهر الأشياء، وأما حقائقها فتفلت منا، ولا تقع تحت حواسنا، وأما الطبيعة الحقيقة للنواميس التي تقود المادة الحية فإنها تتعالى عن أن تلم بها عقولنا[٢] ويرى محمد فريد وجدي أن العلماء المتبصرين لدراسة الكون والكونيات قد ظهر لهم عقب حدوث اكتشافات خطيرة – لم تخطر لهم ببال – أن حدود العلم لا تزال بعيدة عنهم، وأن كل ما حصلوه منه لا يعدو العلاقات الموجدة بين ما يقع تحت حسهم من الموجودات، أما تلك الموجودات وحقيقة النواميس التي تدبرها، فلا يزال أمرها مجهولاً[٣]، ومن ثم فإن هذه الطائفة تقمصت من روح الجمود مالا يتفق مع روح كل باحث متثبت، وصبغت العلم بصبغة الجبار المتمرد، مع أنه في الواقع معترف بنقصه، ومتواضع في حكمه[٤].

ويفند محمد فريد وجدي مزاعم الماديين بقدم المادة، فيقول "إن تلك العقيدة التي هي في زعمهم قديمة أزلية متمتعة بخصائص، ومقودة بنواميس، تصل بالكون إلى هذا الحد من الإبداع والكمال، فهذا القول ليس من العلم الطبيعي، ولا متنزل من أسلوبه، لأن العلم لم يثبت، ولا يستطيع أن يثبت أن المادة قديمة، وليس في وسعه أن يقرر بأنها متمتعة بخصائص ذاتية ترقى بها إلى أقصى درجات الكمال[٥] ويتساءل محمد فريد وجدي – مستنكراً آراء الماديين " – كيف أن المادة – وهي عمياء صماء – استطاعت أن تتكون هذا التكون البديع، وتشكل هذا الوجود الضخم على تنوع صوره وكائناته، وتباين

---

(١) الحديقة الفكرية ص٥٢.
(٢) السيرة المحمدية ص٦٤ .٦٥.
(٣) المرجع نفسه ص٦٥.
(٤) على أطلال المذهب المادى جـ١ / ص١٢.
(٥) المرجع نفسه جـ١ / ص ٦.

أشكاله وكيفياته؟ إنا نرى بأعيننا أن المادة منقادة بواسطة قوانين ونواميس إلى التشكل على حسب نسب وحدود معقولة، فكيف نتصور أن شيئاً محروماً من نعمة الإدراك والتعقل يتجه من نفسه إلى غاية كمالية تندهش لها عقول البشر؟ وكيف نتصور أن المادة المجردة من العقل تحكم نفسها بقوانين حكيمة، وهي لا تعرف معنى الحكمة، ولا تحس بها؟ وكيف يسود النظام والوئام بين مكوناتها، وهي لا تعرف للنظام معنى؟.

أليس هذا الاندفاع المشاهد من الطبيعة، وتدرجها في سبيل التحسن والكمال يعد مشاهداً محسوساً لا يقبل النقض على وجود إله متصرف في الأكوان، يسيرها حسب علمه وحكمته؟[١]

وإذا كان بعض الماديين يرجعون الخلق إلى المادة فإن البعض الآخر يرجعون الوجود إلى المصادفة، ويرد عليهم محمد فريد وجدي "كيف ساغ لكم أن تتصوروا أن الصدفة العمياء المجردة من العقل والاختيار، والإرادة والتبصر، والحياة، أمكنها أن تنظم حركات السيارات المختلفة الدائرة حول مراكز ثابتة بغاية الدقة والإحكام؟ ثم كيف أمكنها أن تصور أجسام الحيوانات التي لا تتناهي في العدد والاختلاف بهذا الإبداع المدهش؟ ثم كيف أمكنها أخيراً أن تكون هذا الإنسان الجامع لسائر قوى الكون على صغر حجمه الشامل لجميع عجائب الخلقة، ونهاية الاختراع؟ أجابوك –والحيرة تكاد تذهب بحياتهم– بأنه من (الصدفة) هذا القول منهم لا يعد طيشاً وهدماً لأحكام العقل فقط، بل يعد –أيضاً– هرباً فاضحاً من موضع البحث، إن لم نقل غفلة منهم بقواعد التعقل والإحساس"[٢].

ويعرف محمد فريد وجدي الصدفة فيقول: "الصدفة كلمة اصطلح عليها الناس، للدلالة على كل ما يصور بدون قصد، ولا إرادة، وقليل من نتائجها يعتد به، حتى إنه قد يمر على الإنسان عشرات السنين بدون أن يصادف صدفة تستحق العقل، الصدفة كلمة اخترعها العقل، وأطلقها على حدوث الأشياء التافهة"[٣]، ويرفض محمد فريد وجدي رفضاً قاطعاً كلام الماديين عن الصدفة

---

(١) الحديقة الفكرية ص٣١.
(٢) المرجع نفسه ص٣٧.
(٣) المرجع نفسه ص٤١.

فيقول: "لو قلت لأحدهم: إن هذا القلم بُرِيَ بالصدفة شن عليك غارة شعواء، وربما اتهمك بالجنون، وله الحق في ذلك، لأن الحسَّ يشهد بفساد هذا الزعم، وبطلانه، ولكن من العجيب أن ذلك المتطرف الذي انفعل، واتهم مخاطبه بالخبل العقلي لنسبته بري القلم بالصدفة نراه إذ يتكلم عن الوجود وابداعاته وعجائب مدهشاته وعوالمه لا يخجل، ولا ينفعل من نسبته للصدفة والإنفاق"[١] ومن هنا يرى محمد فريد وجدي أن النظام والترتيب الحادث في الكون لا يمكن أن ينسب للصدفة، ولابد أن ينسب إلى قدرة حكيمة.

وهناك اتجاه أخر من الماديين يقول عن خلق الأشياء: اقتضته الطبيعة، وكأن الطبيعة تملك القدرة على الخلق، فيرد عليهم محمد فريد وجدي فيقول: "الطبيعة في عرف العلماء المشتغلين بالنظر في الوجود هي: مجموع الكائنات، أي العالم كله، معتبراً وحدة تدبرها قوة واحدة، ونواميس عامة تعمل في أكبر الموجودات، كما تعمل في أصغرها، ولا تفلت من تدبيرها أصغر ذرة في الأرض ولا في السماء"[٢]، وقد ارتكب الماديون شططاً بعيداً بادعائهم قيام الوجود المادي دون قوة مدبرة له، وبزعمهم أن نواميس الطبيعة تكفي كل ما هو عليه من نظام، وإحكام، وتنوع، وإبداع في الكائنات، في حين أن النواميس الطبيعية ليست إلا آثار الحكمة الأزلية الفاعلة في أجزاء الوجود، وليست هي ذاتها أشياء مستقلة[٣]، و يقول محمد فريد وجدي: يستنيم بعض العقول إلى كلمة "طبيعة" فيجدون فيها سكناً لأرواحهم، بل خدراً لعقولهم، ولو تأملوا لعلموا أن الطبيعة كلمة تطلق على المجموعة التي نعنيها من الأسباب والعلل والنواميس والعوامل، فإن راق لبعضهم أن يحتفظ بهذا اللفظ قلنا: هل الطبيعة تستطيع أن تعمل بغير روح، وأن تفعل مجردة من الحياة؟ فلابد أن يكون للوجود حياة عامة وراء ظواهره المختلفة، كما أن للجسم الإنساني حياة خلف ظواهره المعيشية"[٤].

وينتهي محمد فريد وجدي إلى بيان الفرق بين المؤمن والملحد فيقول:

---

(١) الحديقة الفكرية ص٤٠.
(٢) فصول من سيرة الرسول ص١٣٨.
(٣) الحديقة الفكرية ص٢٤.
(٤) الإسلام دين الهداية والإصلاح ص٩.

"الفرق بين المؤمن والملحد هو أن الثاني يقصر نظره على التدبر في أفاعيل تلك النواميس، ويضرب الصفح عن التأمل فيها نفسها، فيقول مثلا: إن الكواكب متماسكة بقانون التجاذب، وأما المؤمن فلم يخطئه التدبير في أفاعيل تلك النواميس، ولكنة لم يقصر نظره عليها، بل دقق النظر في مجموعها، فرأى أنها ليست مستقلة في ذاتها، ولكنها مظاهر مختلفة لقوة واحدة، هي المهيمنة على هذا الوجود كله"[(١)].

ومما سبق يتضح أن محمد فريد وجدي – في نقده للماديين – كان يقيم في نفس الوقت الأدلة على إثبات وجود الله، وبالإضافة إلى ذلك فقد أقام محمد فريد وجدي أدلة أخرى على وجود الله، فما هي هذه الأدلة؟ وهل توافق روح العصر؟

٢ – أدلة إثبات وجود الله:

كان علم الكلام في الماضي يقيم قضية وجود الله على أدله تقليدية صعبة، ولكن نتيجة لتغير ظروف العصر، وانتشار النزاعات المادية والإلحادية فقد تطلب ذلك إقامة أدلة جديدة على وجود الله تتفق والظروف الجديدة، ولكن رغم سعي أغلب المفكرين إلى إقامة براهين جديدة على وجود الله، فقد اعتمد بعض المفكرين على المسلك التقليدي لعلم الكلام، مثل الإمام محمد عبده، والذي اعتمد على دليل "الممكن والواجب" في إثبات وجود الله، فيقول "جمله الممكنات الموجودة ممكنة بداهة، وكل ممكن محتاج إلى سبب يعطيه الوجود، فجملة الممكنات الموجودة محتاجة بتمامها إلى موجد لها، فإما أن يكون عينها، وهو محال، لاستلزامه تقدم الشيء على نفسه، وإما أن يكون جزءها وهو محال لاستلزامه أن يكون الشيء سبباً لنفسه، ولما سبقه إن لم يكن الأول، ولنفسه فقط إن فرض أول، وبطلانه ظاهر، فوجب أن يكون السبب وراء جملة الممكنات، والموجود الذي ليس بممكن هو الواجب، إذ ليس وراء الممكن إلا المستحيل والواجب، والمستحيل لا يوجد، فيبقى الواجب، فثبت أن للممكنات الموجودة

(١) الحديقة الفكرية ص٤٩.

موجوداً واجب الوجود[١]، وهنا نلاحظ مدى صعوبة فهم هذا الدليل على الخاصة قبل العامة، ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى إقامة أدلة على وجود الله تتفق وظروف ولغة العصر. وقد أقام محمد فريد وجدي بعضاً من هذه الأدلة.

أ – الدليل العلمي:

حاول محمد فريد وجدي توظيف منتجات العلم في إثبات موضوعات العقيدة بصفه عامة، وإثبات وجود الله بصفة خاصة، وذلك من خلال استقراء علوم النبات والحيوان، فيقول "لو عرضت لنظرك عالمي النبات والحيوان، وما تجلى فيها من الصور الرائعة، وما قامت عليه من التراكيب المعجزة، وما ألهمت الأحياء الضعيفة والقوية من مقومات حياتها، وما أوتيته على ضعفها من الحيل والوسائل لتحصيل قوتها، وحفظ صغارها، لو عرضت لعقلك ونظرك كل هذه العوالم والكائنات لاحتقرت كل من يدعي أنها وجدت من طريق الاتفاق المحض، وأن القوة الطبيعية المجردة من العقل تستطيع أن توجدها على ما هي عليه من تباين الصور، وتنوع التراكيب واختلاف في القوى، خاصة إذا تدبرت في أن جميع الكائنات الحية الضعيفة قد ألهمت من وسائل حياتها، وذرائع وجودها ما عم جميع أفرادها، وكان سبباً في حفظ ذواتها، وأنواعها أجيالاً لا تحصى، وهو مما لا يمكن حصولها عليه بقواها الذاتية، أليس في هذا دليل محسوس على أن الخالق تولاها بالهداية؟ وبث في روحها من العلم ما تحفظ به حياتها الفردية النوعية؟"[٢].

ويعرض محمد فريد وجدي لصور من عالم النباتات فيقول "إذا تأملت كيف يهتدي ذلك الجذير – وهو مغروس في تربة زاخرة بالمواد المختلفة التي لا تحصى – لانتخاب العناصر التي تتكون منها شجرة التفاح وتنتج زهرتها، وتثمر ثمرتها، وتؤتيها شكلها المعروف، ومذاقها المعهود لو تأملت في جميع شؤون المملكة النباتية، فاجأك الروح العام، وهو يهدي هذه الكائنات الضعيفة

---

(١) رسالة التوحيد / للإمام محمد عبده ص٣٩.
(٢) فصول من سيرة الرسول ص١٥٦.

إلى ما يصلحها ويفعل في تكوينها فعلاً مباشراً لا يعجز عن إدراكه إلا من ليس له بصر"[١].

وإذا نظرنا إلى المملكة الحيوانية، وما فيها من الكائنات الساذجة المكونة من خليه واحدة، وهي أبسط ما يمكن تصوره منها نجدها مزودة بالعلم الذي يحفظ وجودها، ويصون نوعها، وبالمحاولات التي لا غنى عنها في الدفاع عن نفسها، وفي الاحتيال للخلاص من المآزق التي تتعرض لها، فمن أين أتى لهذه الكائنات هذا العلم، وهي محرومة من الأعصاب ومن المخ! أليس هذا العلم لديها نفثاً من الوجود نفسه[٢]؟ ومن ثم فإن عالم الحيوانات على اختلاف أنواعه، وتباين وسائل حياته، وتعدد محاولاته، يحيا تحت عناية الروح التي تمده بالإلهامات الضرورية لحفظ ذاته ونوعه، بحيث لو تركت طرفة عين لهلك، أترى أن هذه الحيوانات كانت تستطيع أن تبقى في معمعات هذه الحرب الحامية التي تشنها الطبيعة عليها بعوالمها المختلفة، لولا هداية الروح العامة، وعملها المباشر على صيانتها من معاطبها، وإرشادها إلى وجوه نجاتها؟![٣].

ومن ثم فهذه لمحة عن الدليل العلمي عند محمد فريد وجدي، ولا تخلو كتاباته من توظيف منتجات العلوم كافة من أجل إثبات وجود الله، ولعل قليله السابق يكفي للتعبير عن الكثير الذي جاء في كتاباته.

ب – الدليل النفسي:

إذا كان محمد فريد وجدي قد أقام الدليل العلمي على وجود الله لكي يخاطب به عقل الإنسان فإنه اتجه إلى إقامة الدليل النفسي على وجود الله لكي يخاطب به قلب الإنسان ووجدانه، فيقول في هذا الدليل: "إنه وسط المؤلمات يتساءل الإنسان من أنا؟ ومن أين أتيت، وإلى أين أذهب؟ ما هي الحياة؟ وما هو الموت؟ ولماذا تسلطت عليَّ كل هذه المؤلمات؟ ما هو هذا الوجود؟ وما هي علاقتي به؟ هذه الأسئلة وضعها الإنسان المؤمن نصب عينه، واشتغل بحلها

---

(١) الإسلام دين الهداية والإصلاح ص١٢.
(٢) الموضع نفسه ص١٢.
(٣) الموضع نفسه ص١٢.

لعلمه أن حياته مرتبطة بها، فتجلت على حقيقتها، وازدادت نتائجها في فؤاده رسوخاً: تارة بالعلم الذي تهدى به مشاعره الظاهرة، وطوراً بما ينبع في صميم معناه من الإلهام الصحيح، فاستوى بشراً سوياً يعرف قيمة الحياة، ومزية الوجود، وعاش حاصلاً على أفضل ما قدر للإنسان من سعادة أبدية"[١].

فكم فؤاد موجع بنازلة لولا الإيمان لانفطر! ماذا يهبط روح السكينة والتأساء على عزيز قوم ذل، أو غنيٍّ قوم أفتقر، إذا جلس يتفكر فيما آل إليه حاله وسط الليل الحالك، وهو يتنفس الصعداء، غير إيمانه بأن معه من يعلم السر وأخفي، ويقدر على منحه الصبر على مصيبته، ثم ماذا ينزل روح الصبر والسلوان على روح أم فقدت ولدها في ريعان شبابه، ومن ثم فإن الإيمان لازم من لوازم الحياة الإنسانية، وضرورة من ضرورات الحياة الأرضية، من فقده فقد طيب الحياة، ولو ملك الدنيا بيمينه، ومن وجده فقد وجد راحة الأبد، ولو كان بين أنياب الفاقة، ومخالب الفقر المدقع[٢]، فالإيمان بوجود الله يهب الإنسان قوة كبيرة في مواجهة المصاعب، والمصائب، والآلام.

ومن ثم يرى محمد فريد وجدي: "أن عقيدة وجود الخالق أمس ما يمس حياة الإنسان الشخصية، فهو يبحث عن صانعه الحكيم، طالباً للطمأنينة على ذاته، وغيرة على حياته، لأنه لا يستطيع أن يدرك له وجوداً أبدياً، ولا حياة فيها جزاء عادل على الحسنات والسيئات، ولا ناموساً عادلاً سائداً على الكون والكائنات حفيظاً عليه، ومراقباً لحركتها وسكنتها، ولا قدرة شاملة، ولا حكمة كاملة وضعت هذا الكون على قواعد الحكمة، وحسن التقدير إلا باعتقاده وجود ذات أولية متمتعة بكل الكمال، ومتصفة بأقصى ما يمكن من صفات الجلال"[٣].

وفي ظل زخارف المدنية وترفها، وفنونها يتساءل محمد فريد وجدي "ماذا يعني الإنسان أن يحاط من طرف الصنائع، وتحف الفنون، وبدائع المخترعات، بما يجعل حياته طيبة هنيئة، وبما يحببه في استبقائها، واستدامتها،

---

(١) الحديقة الفكرية ص١٠.
(٢) الحديقة الفكرية ص٩.
(٣) الإسلام في عصر العلم جـ٢ / ص١٤٧.

ويزيده تشبثاً فيها، وولوعاً بها، وهو لا يلبس أن يصاب عليه عزيز بمرض فيعجز الأطباء عن علاجه، ثم يختطفه الموت من جانبه، فلا تقوى قوى العالم كله على تخليصه من أنيابه! فإذا شيعه إلى مثواه الأخير في الأرض، وعاد يبكيه ويندبه أياماً وشهوراً، وبدأ يعاود حياته العادية بعد ألم عظيم، ثم بوغت بكارثة أخرى من هذا النوع في عضو أخر من أعضاء أسرته، وهكذا، فإن لم يكن يؤمن بوجود الله فلا يقوى على مواجهة هذه الآلام"[١].

وينتهي محمد فريد وجدي من عرضه للدليل بأهمية الإيمان القلبي والنفسي بوجود الله، حتى يستطيع مواجهة الآلام والمصاعب، وأن لا يكون الإيمان مجرد قناعات كلامية، فيقول: "إن الإيمان الذي يقلب كيان النفس ويحولها من حال إلى حال لا يعقل أن يكون ثمرة دعوة كلامية"[٢].

(١) السيرة المحمدية ص٧١.
(٢) المرجع نفسه ص١٩٧.

المبحث السادس
النبوة في عصر العلم

تعتبر قضية النبوة، والحديث عن المعجزات من القضايا التي يراها علماء أصول الدين أنها تشكل جزءاً من (السمعيات)، والتي يتم إثباتها عن طريق النقل أكثر من اعتمادها على العقل، فالأولوية فيها للنقل، وذلك لأن السمعيات تتجاوز فى نطاق كبير منها قدرات العقل البشرى، ولا يعنى تجاوزها للعقل أنها قضايا لا معقولة، بل أنها تفوق قدرات هذا العقل، ولكن المشكلة فى أن المدرسة الإصلاحية لدى محمد عبده وتلاميذه، قد اضطروا تحت ضغط الاتجاهات المادية والعلمية إلى تبرير النبوة من الناحية العلمية والعقلية، وقد ارتكبوا فى هذا أخطاء كثيرة، منها: صمت المدرسة الإصلاحية عن المعجزات الحسية، أو تبرير هذه المعجزات تبريراً علمياً يميل إلى الشطط والتكلف، وذلك خشية من اتهام العلمانيين لهم بأن الإسلام دين للأساطير والغيبيات، وقد تناسى دعاة الإصلاح أن العلم الذي يتشدق به العلمانيون لا يستطيع أن يخبرنا ما ماهية الكهرباء؟ ولا الأسباب التي تؤدى إلى انتشار بعض الأمراض، فالعقل عاجز عن تفسير العديد من الموضوعات والظواهر الكونية، فما بالنا بقدرته فى تفسير الموضوعات الغيبية، وإذا كان المسلم يسلم بصدق الإسلام فى العديد من القضايا التي تستند على العقل، فلابد أن نسلم بصدقه – أيضا – فى قضايا السمعيات التي تتجاوز العقل، ولا شك أن معظم قضايا الإسلام تستند على العقل – بعكس الديانات السابقة عليه – وذلك لأنه نزل فى طور اكتمال العقل البشرى، فلا يضيرنا – إذن – أن نسلم بصدق نتائج الرسالة (السمعيات المجاوزة للعقل)، بناءاً على صدق المقدمات (العقليات).

وفى ضوء طغيان النزعات المادية، والعلمية كان من الضروري أن يحاول محمد فريد وجدي توظيف منتجات العلم، لكي يخدم بها قضايا السمعيات، فحاول تبرير إمكان الوحي من الناحية العلمية، وتبرير المعجز الحسي كذلك، ومحاولة تقديم بعض التفسيرات العلمية لآيات القرآن الكريم، فنجده ينتقد –

فيما سبق – نظرية دارون ودورها فى ازدهار النزعات المادية، إلا أنه تحت ضغط الاتجاهات المادية حاول تأصيل بعض مباديء دارون، مثل (تنازع الأحياء)، و (البقاء للأصلح)، من خلال الاستشهاد ببعض الآيات القرآنية، ولكنه لم يقبل من نظرية دارون الحديث عن مبدأ (التولد الذاتي) الذي أسهم فى تطور النزعات المادية، ومن ثم فقد كان فريد وجدي انتقائياً فى التعامل مع نظرية دارون، فأخذ منها المباديء التي تسهم فى تدعيم الإيمان، ورفض منها المباديء الإلحادية.

ولابد لنا من أن نلتمس العذر لمدرسة محمد عبده فى الأخطاء التي ارتكبتها، وبصفة خاصة بما يتعلق بالسمعيات، وذلك بسبب الظروف التاريخية التي كانت تمر بها الأمة فى تلك الفترة التاريخية، بسبب سيطرة الاستعمار الغربي على كافة أرجاء العالم الإسلامي، ولم يشأ هذا الاستعمار أن يمتص ثروات الشعوب فقط، بل أراد أن يشككها فى تاريخها ودينها، ولقد سعت المدرسة الإصلاحية إلى تقديم صورة مستنيرة للإسلام، وفهم له يتناسب مع طبيعة الظروف التاريخية التي كان يعيشها المسلمون فى تلك الفترة، وإن كانت المدرسة الإصلاحية قد ارتكبت أخطاء فإن هذا ناتج عن حسن نية، ورغبة عميقة فى تفسير مستنير للإسلام يتواكب مع عصر العلم.

١ – تبرير إمكانية النبوة علمياً:

في ظل التقدم العلمي الهائل في العصر الحديث فقد تأثرت المباحث العقدية بهذا التقدم، وقد حاول بعض المفكرين المعاصرين صياغة موضوعات العقائد بما يتوافق مع مستجدات العلم الحديث، وهذا ما فعله محمد فريد وجدي حين اهتم بعرض قضيه النبوة من خلال الرؤية العلمية لها، فنجده في البداية يعرف النبوة فيقول: "النبوة مرتبه روحيه يستأهل بها صاحبها أن يتلقى العلم عن الله بدون وساطة العقل والحواس على ضروب شتى: إما إلقاء في الروع، أو بتوسط ملك في صورة بشريه، أو في أثناء النوم على حالة رؤيا، أو غير ذلك

من الحالات الروحية التي لا يدركها غير نبي، ويسمى هذا الأسلوب التعليمي المخالف للسنن العادية وحياً"[١].

ويرى محمد فريد وجدي أنه في ظل التقدم العلمي حاول بعض الماديين إنكار الوحي والنبوة، فيقول " أشد ما ترتطم به عقول المعاصرين من الشبهات العلمية: مسألة الوحي، فيستبعدون أن الله قد أوحى إلى رجال منهم ليحملوا إلى الناس من التعاليم ما يقيم على الصراط السوي حياتهم، وما يفيدهم من العبادات في حياتهم[٢]؛ ولهذا فقد كان أصحاب الاتجاهات المادية يعتقدون "أن مسألة الوحي من المسائل التي يدحضها العلم بكل شدة، ويعدها من المحالات العلمية، ثقة منهم أنه ليس وراء عالم المادة عالم أرقى منه، بل ليست الروح البشرية التي لا تعتبر آية الخلق إلا مظهراً من مظاهر المادة"[٣].

وينتقد محمد فريد وجدي الاتجاهات المادية؛ لإنكارها النبوات باسم العلم، ويسعى إلى إقامة الأدلة العلمية على صحة النبوة وإمكانها، ويرفض مجرد إقامة الأدلة المنطقية على صحتها، فيقول: "الأدلة المنطقية على صحة النبوة وإمكان الوحي كثيرة، ولكن العقلية العصرية يصعب عليها أن تقتنع بها، فإن الفلسفة المادية قد أثارت شبهات جمة على النبوات، ونفت وجود العالم الروحاني، وادعت أن كل ما يقال فيه، ويسند إليه من أوهام الأقدمين مجرد أساطير، وقد تسربت هذه الفلسفة إلى عقول الناس من مصادر عدة، لذلك وجب على من يعالج مسألة النبوة والوحي أن يعدل عن الاستناد إلى الأدلة المنطقية إلى الأدلة العلمية، بشرط أن تكون مبنية على أمور يقينية جرى بحثها على الأسلوب العلمي"[٤].

وفي بداية محاولة محمد فريد وجدي لإثبات النبوة علمياً يتساءل: هل في

---

(١) السيرة المحمدية ص٤٥.
(٢) الإسلام دين الهداية والإصلاح ص١١.
(٣) السيرة المحمدية ص٥٨.
(٤) المرجع نفسه ص٤٥.

الوجود ما يدل علي حدوث المعرفة من غير طريق الحواس والعقل؟ الجواب نعم حيث نجد في عالم الحيوانات إلهامات معينة، حتى الحقيرة الساذجة منها لها أعمال حين تطلب أغذيتها، واحتضان بويضاتها، وتربية صغارها، تقصر إدراكاتها القاصرة عن الاهتداء إليها لو تركت وشأنها"[١] وإذا كانت هناك الهامات إلهية في عالم الحيوانات فلابد أن تكون موجودة في حياة الإنسان، فيقول "من العبث المحض أن يثبت الباحث الطبيعي إلهاما تبعثه القدرة الإلهية في أحقر الحشرات، وينفيه عن النوع البشري، وهو في أشد الحاجة إليه في عهده بالحياة الاجتماعية، وفي أثناء تطورات أدوار تلك الحياة المتعاقبة"[٢].

إن هذه الإلهامات دليل محسوس على أن قيِّم الوجود يؤتي الكائنات علماً بما يقيمها، ويصلحها من غير طريق الحواس التي لا تستطيع أن تكتسبه بها، وإذا صح هذا في عالم الحيوان فهو أولى بأن يصح في عالم الإنسان، حيث اتصالاته بالآفاق الأعلى تكون أقوى، واستعداده للقبول منها أكبر[٣].

ويرى محمد فريد وجدي أن الماديين لما شعروا بالخطر الذي يتهدد مذهبهم من هذه الناحية تألبوا على القول: بأن هذه الإلهامات عادة موروثة، أي أن الجماعات الأولى من الحيوانات اكتشفت وسائل حياتها فأورثتها أخلاقها، فصارت فيها غريزة، ولكن كيف اهتدت تلك الكائنات الساذجة إلى هذه الوسائل؟ وكيف اتفق أن جميع جماعاتها في مختلف القارات الأرضية تهتدي إلى وسائل من نوع واحد، وليس بينها اتصال؟ وكيف يعقل أنها تتوارث أخلاقها، وقد أثبت العلم أن الوراثة للصفات والعادات غير ممكنه؟[٤].

ويحاول محمد فريد وجدي أن يوظف إنجازات التنويم المغناطيسي حتى يثبت إمكان الوحي، فيقول: "إن من يستوعب المقررات العلمية لا يتعذر أن يجد

---

(١) المرجع نفسه ص٤٦.
(٢) المرجع نفسه ص٥٥.
(٣) المرجع نفسه ص٤٨.
(٤) الموضع نفسه ص٤٨.

للوحي والنبوة ما يسوغهما منها، أما علمتم أن التنويم المغناطيسي أصبح من المقررات العلمية، وأنه كشف أن للإنسان عقلاً باطناً أرقى من عقله العادي، وهذا لا يمكن أن يستمد معرفته إلا بواسطة آلات وأعصاب، وذلك يستمدها بذاته، بغير وساطة آلات وأعصاب، وهذا إدراكه للموجودات محصور في حدود الحواس، وذاك إدراكه غير محصور فيها، فهوى يرى، ويسمع، ويحس، ويذوق، ويشم، ما هو بعيد عنه بألوف الأميال[١]، ومن ثم فإن تقدم العلوم الروحانية في أوربا كان نتيجتها في أوربا إرجاع العقيدة بالرسل، بعد أن زالت من وجودها بتأثير التعاليم المادية[٢].

وقد رفض الشيخ مصطفي صبري (١٨٦٩. ١٩٥٤) طريقة محمد فريد وجدي في تبرير إمكان حصول النبوة عن طريق نظريات التنويم المغناطيسي، واستحضار الأرواح، مؤكداً على أهميه العودة إلى الدليل العقلي؛ لأنه صالح لأي فترة زمنية، وغير خاضع لمنجزات العلم المتغيرة، كما أن الدليل العقلي له صفه الدليل العلمي ويشكك الشيخ مصطفى صبري في البحوث النفسية التي تجرى في أوربا حول "تحضير الأرواح" و "التنويم المغناطيسي" مؤكدا أنه لم يثبت صحتها علمياً، ويقول: بأننا لا ينبغي أن نركز على هذه البحوث كثيراً في موضوعات الدين، لأن معنى انتظارنا ثبوت الدين ثبوتاً علمياً، نتيجة الأبحاث النفسية الجديدة يتضمن الاعتراف بأنه لم يثبت قبلها ثبوتاً علمياً حتى تضطر العقول السليمة إلى اعتقاد صحته، وكيف أرضى أن يكون الدين من عهد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلى زماننا لم يثبت على أساس متين يؤيده العلم، حتى جاء العلماء أصحاب البحوث النفسية في الغرب فأثبتوه أو سيثبتونه؟ ولهذا فأنا لا أرضى أن نكون مؤمنين بالدين إذا آمن الغرب وكافرين به إذا كفر[٣]، ونحن نتفق مع الشيخ مصطفى صبري فيما ذهب إليه، ولاسيَّما

---

(١) من معالم الإسلام ص٧٣.

(٢) مقدمة المصحف المفسر ص١٠٤.

(٣) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين / للشيخ مصطفى صبري جـ١ / ص ٤١٦ – ٤١٧.

وأن حديث محمد فريد وجدي عن "التنويم المغناطيسي" و "استحضار الأرواح" يتسم باللاعقلانية، في حين أنه يسعى إلى إرساء العقلانية في النظر في موضوعات العقيدة.

ومن جانب أخر يحاول محمد فريد وجدي إثبات إمكان النبوة من خلال وصف النبوة بالعبقرية، حيث يصف "النبوة بأنها عبقرية، والعبقرية عنده تعنى حالة إلٰهية مولودة للإلهامات العلوية"[١]، ويرى محمد فريد وجدي "أن العلم أثبت بما شاهده من أثار ما أسماه بالعبقرية، أن من الناس ناساً يلهمون الإبداع في بعض النواحي، إلهاماً من غير طريق التفكير والجهد العقلي، فيأتون بما لم يسبقهم إليه أحد، وكان العلم يسجل هذه الحوادث الفذة، ويمتنع عن تعليلها لاستعصائها على كل علّة، حتى اكتشف العقل الباطن، وعرف أن له اتصالات باطنية،لا علم لصاحبها بها في حالته العادية، فسهل تعليلها من هذا الطريق، أفلا يمكن تعليل النبوة بهذه الاتصالات نفسها، وإن كانت أرقى منها، وأرفع شأناً!"[٢].

ومن ثم فإن سرنا على شرط العلم في إثبات الحوادث فإننا نعترف بأن محمداً (ﷺ) كان عبقرياً من طراز خاص، فاق جميع العباقرة، وهذا كسب عظيم للقائلين بنبوته، لأن العبقرية في العلم لا تعني ما تعنيه في عرف العامة، فهي في العلم ما يلقى في روع العبقري من علم أو عمل بدون جهد منه، فيجيء فذاً لا سابقة له، ولا يمكن تقليده، فالعبقرية بهذا المعنى تقرب معنى النبوة إلى العقل، وتسوغها إلى العلم[٣].

ونحن نرفض أن يتخذ محمد فريد وجدي من العبقرية وسيلة لإثبات النبوة، لأننا لو قلنا بذلك فإنه سيفتح الباب للذين يقولون: بأن النبوة كسبية وليست اصطفاء من الله تعالى لبشر معين، لكي يرسله إلى الناس برسالاته ونتفق مع

---

(١) السيرة المحمدية ص٥٠.
(٢) من معالم الإسلام ص٧٢.٧٣.
(٣) السيرة المحمدية ص٤٢.

الشيخ مصطفي صبري في رده على كلام محمد فريد وجدي حول إثبات النبوة من خلال العبقرية، حين قال "إن كثرة وقائع العبقري لا تصعد العبقري إلى مرتبة النبي... ومهما أتعب الأستاذ قلمه فإنه لا يستطيع أن يجعل العلم الذي لا يعترف بغير الطبيعيات يقبل النبوة التي هي حالة ما وراء الطبيعة"[١]

وبسبب النقد الذي تعرض له محمد فريد وجدي حول تسويغه لإمكان النبوة عن طريق النظريات النفسية والحديث عن ربط النبوة بالعبقرية، فإنه يقول: بأنه حاول الدمج بين برهان العقل، وبرهان العلم، حتى يصل إلى الكمال ويقول: بأنه يستأنس – فقط – بنظريات علم النفس في إثبات النبوة، فيقول "لسنا نريد أن نثبت إمكان الوحي بالاستناد إلى اكتشافات هؤلاء العلماء في عالم ما وراء الطبيعة، فقد أثبتنا وجوده بالحس من الغرائز التي طبعت عليها الحيوانات، ومن حوادث العبقريات، ولكننا نستأنس بها في بحثنا هذا، دليلاً على أن الإنسانية اجتازت دور الافتتان بالماديات، وبدأت تدخل إلى عهد من الحياة تتفق فيه فتوحات الروح عن طريق النبوة، مع فتوحات العقل عن طريق العلم فتستقيم على الجادة التي توصلها إلى الكمال المرجو لها، خالصة من الشبهات الرائنة على الصدور، والشكوك المحيرة للعقول"[٢].

٢ – المعجزة الحسية بين إثباتها للنبوة والتسويغ العلمي لها:

اتخذت مؤلفات علم الكلام التقليدي من المعجزات الحسية وسيلة لإثبات نبوة محمد (ﷺ)، ولكن هذه المعجزات تعرضت للإنكار من قبل المستشرقين والعلمانيين، واتهم الإسلام بأنه دين الأساطير والغيبيات، ويذهب محمد فريد وجدي إلى أنه "في القرون الأخيرة لا تروج مسائل المعجزات، بسبب تكذيب الماديين بها، وهو وإن كان تهوراً منهم، إلا أنهم مصيبون في قولهم: إننا في زمان لا يجرى فيه الاعتقاد إلا بالنور العقلي والدليل العلمي"[٣]، وهنا نجد مدى حرص محمد فريد وجدي على إيراد الدليل العلمي في قضايا العقيدة،

---

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين جـ١ / ص١١٨.
(٢) السيرة المحمدية ص٦٥.
(٣) المدنية والإسلام ص٩١.

ولهذا فحين حاول أن يكتب السيرة المحمدية نجده يقول: "حرصت ألا أسرف في صرف كل حادثة إلى ناحية الإعجاز مادام يمكن تعليلها بالأسباب المادية حتى ولو بشيء من التكلف، مسايرة لمذهب المبالغين في التثبت والمحافظة على إقامة الدستور العلمي"(١).

وعلى الرغم من سعي محمد فريد وجدي للتقليل من الأخذ بالمعجز الحسي إلا أننا نجده يحاول أن يقدم التبرير العلمي له، فيقول "كيف يجرؤ منكر على إنكار الخوارق، وقد أثبت العلم الأوروبي أموراً حاصلة على يد أصحاب الرياضيات النفسية بين الشرقيين كالهنود، وغيرهم من الشعوب السحيقة، وكلهم على دين غير حق"(٢).

وهنا نلاحظ أن فريد وجدي يسوِّغ المعجزات من خلال تسويغ العلم الأوروبي لها، وبناء عليه سوّغ إمكان المعجزات الحسية التي جاءت على يد الأنبياء، ونوضح رأي محمد فريد وجدي من التسويغ العلمى للمعجز الحسي في موقفه من إمكان الإسراء والمعراج علمياً، فيقول "ليست السرعة اللازمة لقطع ألفي كيلو متراً ذهاباً وإياباً في بضع ساعات من الليل بالأمر المستحيل في ذاته، إذا قورنت هذه السرعة بالسرعة المتمتعة بها السيارات السماوية في مدراتها الواسعة لما عدت شيئا يذكر، وهذه كرتنا الأرضية التي نعيش عليها، ولا نتخيل أنها دائرة قد برهنت العلوم الفلكية أنها دائرة حول الشمس بسرعة ثلاثين كيلو متراً في الثانية "أي أنها تقطع الألفي كيلو متراً التي تفصل مكة عن بيت المقدس في أقل من (عشر دقائق) وبناء على هذا فليس أمر هذه السرعة بالخطب الكبير، ولا بالشيء العجيب"(٣).

ويتفق عباس العقاد مع محمد فريد وجدي في تسويغ المعجز الحسي علمياً، إذ يرى أن العلم المعاصر قد جاء باكتشافات لم نتوقعها، وكنا نعتقد أنها خيالات، ويرى أنه لا تعارض بين المعجزات الحسية، وبين سنة الله في الكون، فيقول "يؤمن المسلم المعاصر بالنواميس الكونية أشد من إيمان الدعاة إلى تقدير تلك

---

(١) السيرة المحمدية ص١٩٤.
(٢) الإسلام في عصر العلم جـ٢ / ص١٣٢.
(٣) المرجع نفسه جـ١ / ص٢٣٨.

النواميس باسم العلم العصري أو العلوم التجريبية، لأنه يؤمن بأن النواميس سنة الله في خلقه ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ فاطر (٤٣) ولكنه يؤمن كذلك بإمكان المعجزة لأنها ليست بأعجب مما هو حادث أمام الأبصار والبصائر، وليست هي المحتاجة إلى قدرة أعظم من القدرة التي تشهد بدائعها ما يتكرر أمامنا كل ساعة، وقد تسمي المعجزات في عرف المسلم بخوارق العادات، فلا يجوز لأحد أن ينكرها؛ لأننا تعودنا فيما علمنا – في هذا العصر على الأقل – أموراً كثيرة كانت في تقدير الأقدمين من خوارق العادات، وهي اليوم من الممكنات(١).

وعلى الرغم من تبرير محمد فريد وجدي للمعجز الحسي، إلا أنه يرى أن هذه المعجزات لا يمكن أن تكون وسيلة لإقناع الناس الآن بصدق الرسالة فيقول "لا ننكر أنه قد مضى على النوع الإنساني زمن كان فيه العقل في دور الطفولة، وكان يكفيه في الإيمان أن يندهش لأمر خارق للطبيعة يعطل من سير نواميسها وقتاً ما، وكان الله سبحانه وتعالى يرأف بعبادة، فيرسل إليهم رسلاً يمتعهم بخصائص تحدث بها هذا المعجزات؛ لتدل على صدق الرسول وضرورة اتباعه، وأما الآن حيث بلغ العقل أشده، والنوع الإنساني رشده، فلا تجدي معه المعجزة، ولا تنفع فيه غريبة؛ لأن الشكوك قد كثرت مع كثرة المواد العلمية"(٢) ولهذا فإن محمد فريد وجدي يركز على ضرورة التركيز على أن إعجاز الرسول الأكبر كان في إحداث تغييرات، أو انقلابات أدبية واجتماعية عظيمة في مجتمعه، فيقول "إذا كانت من أكبر دلائل النبوة: إلانة الحديد، وتفجير الماء من الصخور، وإحياء الموتى فإن أكبر إعجاز للرسول محمد (ﷺ): إلانة نفوس الجاهلية، وتفجير ماء الحياة الروحية، وبث أصول البطولة الصحيحة في القلوب، وهذا أشد إعجازاً وأبعد أثراً من الآيات الجزئية، فهذه الآيات تشكك فيها الباحثون وأنكرها الماديون، ولكن الآيات المحمدية لا يمكن إنكارها، فهي ماثلة أمام الأعين مثولها في تاريخ الأجيال السابقة، تشهد بأن روحاً ربانية حلت بهذه الجماعة، فدفعتها لإحداث أكبر الأحداث العالمية، وتنبيه الأمم كافة من ثُباتها"(٣).

---

(١) التفكير فريضة إسلامية ص٨٧ – ٨٨.
(٢) المدنية والإسلام ص٩٠.
(٣) السيرة المحمدية ص١٩٦.

ويركز محمد فريد وجدي على تكرار الدور الذي قامت به النبوة المحمدية في تغيير مجرى حياة العرب فيقول: "إن من يتعمق في دراسة تاريخ عرب الجاهلية، ويستبطن ما عليه من عوامل التقهقر التي أوقعتهم تحت الأمم المجاورة، وقضت على البعيدين منهم عن تلك الأمم في حالة بداوة وفوضى، وتناحر أماداً طويلة، يدهش من عظم تأثير الروح المحمدية التي أذابت هذه الكتل المتحجرة من الطوائف المتعادية ذات التقاليد والعادات الموبقة، وكونت منهم أمة عظيمة، لم تبلغها أمة من قبل، ولا يزال العالم يتأثر بروح منها إلى اليوم[١] جاءت النبوة لتوحد كلمة العرب وَوِجْهتَهم، فتركوا عادات آبائهم التي توارثوها، وخرجوا من ظلمات الوثنية إلى أنوار العقيدة التوحيدية، وقاموا يحملون للخافقين أنوار المدنية، ويؤسسون أركان العدل والإنسانية في جميع أركان الكرة الأرضية، وبالجملة صارت دولتهم دولة العالم بأسره، بينما كان غيرهم يحيا في وديان الجهالة، ويضرب في ليلاء الضلالة[٢].

ومما سبق يتضح: أن محمد فريد وجدي رغم تسويغه العلمي للمعجز الحسي، إلا أنه لا يركز على المعجزات الحسية، وفي المقابل يعطى أهمية كبرى للدور الذي قامت به النبوة في تغيير حياة العرب من الجاهلية إلى الإسلام، بل وإن تقليل محمد فريد وجدي من قيمة المعجز الحسي في إثبات العقائد جعله يقول: بأن القرآن جاء للدعوة ببداهة العقل، وقواعد العلم صارفاً النظر عن المعجزات الحسية، وإظهار المدهشات، وفي هذا ينتمي محمد فريد وجدي إلى نفس توجه مدرسة الإمام محمد عبده، حيث نجد تلميذه محمد رشيد رضا يشكك في المعجزات الحسية فيقول "نبوة محمد (ﷺ) قد ثبتت بنفسها، أي بالبرهان العلمي العقلي الذي لا ريب فيه، لا بالآيات والعجائب الكونية، وأن هذا البرهان قائم ماثل للعقول في كل زمان وهو القرآن"[٣].

ونجد الشيخ عبد العزيز جاويش يقول: "إن الإسلام فيما يصوره القرآن

---

(١) نقد كتاب الشعر الجاهلى لطه حسين / محمد فريد وجدي ص٥٠.
(٢) المدنية والإسلام ص١٠.
(٣) الوحى المحمدى ص١٠.

الكريم قد امتاز عن غيره من الأديان الأخرى بأنه دين اليقين والنظر، لا دين خوارق العادات، وما وراء العقل"[١]

والواقع أن موقف مدرسة الإمام محمد عبده – بما فيها محمد فريد وجدي – السلبي من المعجزات الحسية، إنما جاء نتيجة اتهامات الماديين، والعلمانيين والمستشرقين للإسلام بأنه دين الأساطير وخوارق العادات، وحين تصدت مدرسة الإمام لهم اضطرت إلى التقليل من قيمة المعجزة الحسية والإعلاء من قيمة المعجزة القرآنية كمعجزة عقلية كبرى للرسول (ﷺ)، ونحن نرفض موقف هذه المدرسة من المعجز الحسي، لأن القرآن نفسه هو الذي أبلغنا عن هذه المعجزات في العديد من سوره وآياته، ومجرد إثبات القرآن لهذه المعجزات فهو دليل على أهمية المعجز الحسي في إثبات النبوات، كما أننا لا نستطيع أن ننفي هذه المعجزات؛ لأنها وردت في نصوص صريحة وواضحة في القرآن الكريم.

٣ – الإعجاز العلمي للقرآن:

مع منتصف القرن التاسع عشر حين بدأت الحضارة الغربية تغزو العالم الإسلامي عسكرياً وحضارياً بدأ يحدث انبهار شديد بعلوم الحضارة الغربية، وأدى هذا إلى ظهور التفسير العلمي للقرآن ويقول د/ أحمد صبحي: "إن هناك أسباباً دعت إلى ظهور الاتجاه العلمي لتفسير القرآن، إذ خشي أصحاب هذا الاتجاه أن يتشكك المسلمون في دينهم، وأن يظنوا أن العلم الحديث قد خلف الأديان، والكتب المنزلة وراءه ظهرياً، وأن يصيب الإسلام ما أصاب المسيحية من عصر النهضة الأوربي، حين اتهم الدين بأنه أساطير[٢] وقد أخذ بالتفسير العلمي للقرآن العديد من رواد المدرسة الإصلاحية، حيث نجد الإمام محمد عبده في

---

(١) الإسلام دين الفطرة ص١٥.

(٢) هاؤم إقرأوا كتابيه: محاولة لتجديد الفكر الإسلامي، للدكتور أحمد محمود صبحي ص٣٣.

تفسير سورة الفيل في قوله تعالى ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ الفيل (٣ – ٥).

فيقول إن هذه الآيات تدل علي أن الذي حدث في جيش أبرهة هو انتشار داء الجدري والحصبة، وقد فعل ذلك الوباء بأجسامهم ما يندر وقوع مثله، فكان لحمهم يتناثر، ويتساقط، فذعر الجيش، وولوا هاربين(١).

ولا شك أن تأويل محمد عبده لهذه الآيات وتقديمه لنوع من التفسير العلمي إنما يحمل في داخله خروجاً على نص القرآن الصريح، وفيه كثير من التكلف والشطط.

وقد تأرجح موقف محمد فريد وجدي من التفسير العلمي للقرآن بين قبوله أحياناً، ورفضه أحياناً أخرى، فنجده يسعى إلى إيجاد أصول لنظرية دارون في القرآن، فيقول "أنبأنا القرآن بأن الإسلام مقدمة عصر العلم، وطليعة دولة الحق، ومؤسس سلطان الحكمة، فقرر الناموس الطبيعي الذي أكتشفه (دارون) بعد القرآن بثلاثة عشر قرناً تقريباً، وهو قوله: لا يبقى إلا الأصلح "فقال تعالى بأفصح عبارة وأكمل بيان ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الرعد (١٧)(٢) والقرآن أكد على أهمية تنازع البقاء في آية ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ البقرة (٢٥١) ويقر محمد فريد وجدي بأن مذهب دارون لا يخلو من حقائق وجودية كبرى، كان لها أكبر الأثر في ترقية فكر الرجل العصري، وتهذيب ملكاته، فإن رفضناه من أول وهلة بدون إمعان النظر فيه، ودرس ظاهره وخافيه، كنا – بالنسبة لأنفسنا – مذرين بعقولنا؛ لأن شبهة علقت بالأذهان، وقوانينه أصبحت جزءاً من سيرتنا فعلاً، فما معنى إيهام الناس بأننا أعداؤه الألد، وخصومه الأشد، إن هؤلاء الناس الذين يعادون مذهب دارون كله لأجل نتيجته لا يدرون أنه أقام البراهين الحسية على حقائق قرآنية(٣).

---

(١) تفسير جزء عم / للإمام محمد عبده ص١٢٠.
(٢) مقدمة المصحف المفسر ص٣٠ وأيضا الإسلام في عصر العلم جـ١ / ص١٦٥.
(٣) ملحق الإسلام في عصر العلم جـ٢ / ص٧٠.

وعلى الرغم من محاولة محمد فريد وجدي تأصيل نظرية دارون قرآنياً إلا أنه يرى في موضع آخر بأن القرآن جاء ليقر النواميس الكلية التي لا تبديل فيها ولا تحوير، فيقول "إن الآية القرآنية ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ البقرة (١٨٩) ترينا بطريقة جلية أن كل ما ذكر في الكتاب الشريف من أمر الكواكب والسماوات لم يقصد منه تعليم علم الفلك، بل قصد منها لفتنا إلى التدبر في جلائل مصنوعات الله، وتنور أسرارها، ليس إلا، وعندنا أن تطبيق علم الفلك القديم والحديث على ما جاء في القرآن المجيد يعتبر تهجماً غير محمود على كلام الله تعالى، ذلك لأن القرآن الكريم إنما جاء بالقواعد العامة، والنواميس الكلية التي لا يعتريها تبديل ولا تحويل، والتي هي لسان حال الوجود، فالساعي لتطبيق العلوم الفلكية على آياته الكريمة يكون ملوماً لأمرين.

(أولهما): أن القرآن الكريم إنما جاء لتربية الإنسان، وتهذيب خصائصه، تلك التربية وذلك التهذيب اللذان يفكان أغلال المدارك النفسية، ويكسران ما يعوق المواهب البشرية، ويستخرجان أنوار الحقائق الملكية من كثافات تلك الطبيعة، وليتجلى الإنسان في الوجود إنساناً صالحاً.

(ثانيهما) حث المسلمين على العلم، وكان لآبائنا اليد الطولي في ترقية العلوم، وعدم الوقوف بها عند حد، فيجب علينا أن نسابق الأمم في ميادين العلوم الجديدة"[(١)].

ومن ثم يصل محمد فريد وجدي إلى نتيجة مؤداها: "أنه مع اعتقاده الجازم بأن القرآن حافل بالمعجزات، ورغم أننا سبقنا جميع المتكلمين في الإسلام، فأثبتنا عدداً عظيماً منها، إلا أننا لا يجوز أن نعالجها علاجاً عنيفاً، وأن نستقطر الكلام لها استقطاراً، فإن ذلك يعد إخلالاً بالأدب الواجب للكلام الإلهي، يفضي إلى كثرة الجدل فيه بين المثبتين والنافين، وليس هذا من مصلحة الإسلام في شيء، وإنه من الخطر العظيم أن يعالج الكلام في الآيات على هذا

(١) الإسلام في عصر العلم جـ٢ / ص ٨٣ – ٨٤.

النحو، وحالة أهله أنهم لم يطلعوا على تاريخ المقررات العلمية، فيحكمون بسبق القرآن إلى تقرير حقائق اهتدى إليها العلماء والباحثون قبل نزول القرآن، فيتذرع بذلك في الطعن في كفايتنا العلمية، ويتهموننا بنقائص نجد أنفسنا عاجزين عن التبرؤ منها"[١].

ولا شك أن نقد محمد فريد وجدي السالف يجعله يتفق مع الاتجاه الناقد للتفسير العلمي للقرآن، حيث نجد أن عباس العقاد يقول: بأن من فضيلة الإسلام أنه فتح باب العلم على مصراعيه، ولكن من الخطأ أن نتلقى كل نظرية علمية كأنها حقيقة دائمة، نحملها على معاني القرآن، لأن النظريات العلمية لا تثبت على قرار بين جيل وجيل، ومن هنا لا يطلب من كتب العقيدة أن تطابق مسائل العلم كلما ظهرت مسألة فيها لجيل من الأجيال[٢]، ومن ناحية أخرى فقد رفض الشيخ أمين الخولى – أيضاً – مسألة التفسير العلمي للقرآن، وذلك لأن العلم في تقدم سريع، ولا يمكن ضبطه، فكيف نربط بين الاكتشافات العلمية المتغيرة والقرآن الثابت؟ فيقول "كيف تؤخذ جوامع الطب، والفلك، والهندسة من القرآن، وهي جوامع لا يضبطها اليوم أحد؟ ويكفي أصحاب النوايا الطيبة ـ أصحاب التفسير العلمي ـ أن يتجهوا إلى القرآن ليدفعوا مناقضة الدين للعلم، فلعله يكفي هذا، ويكفي ألا يكون في كتاب الدين نص صريح يعارض حقيقة علمية كشف البحث أنها من نواميس الكون، وحسب كتاب الدين بهذا القدر صلاحية للحياة، ومسايرة للعلم، وخلاصة من النقد"[٣].

ونحن نرى أن التفسير العلمي للقرآن يصلح إلى حد كبير في تعميق إيمان العامة بالعقيدة الإسلامية، وذلك لأن القرآن لا يخلو من الإشارة إلى العديد من النواميس الكونية الثابتة، والتي لا تتغير بتغير الزمان والمكان، ولكننا نرفض أن يتكلف أصحاب التفسير العلمي في محاولة إيجاد أصول علمية لبعض النظريات في القرآن الكريم، وذلك لأن القرآن الكريم قد هدف في المقام الأول إلى بناء عقيدة الأفراد.

---

(١) الأدلة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن الكريم ص٣٨.
(٢) الفلسفة القرآنية / لعباس العقاد ص١١.
(٣) مناهج تجديد / للشيخ أمين الخولى ص٢٢٢.

خاتمة

١ – انتمى محمد فريد وجدي إلى المدرسة الإصلاحية في الفكر الإسلامي، ولم يخرج عن المباديء العامة التي حكمت هذه المدرسة: من اتخاذ الدين طريقاً للنهضة والتقدم، ومن الوعي بمتطلبات وظروف الواقع المعاصر، وعدم الانغلاق على الذات في التعامل مع منتجات الحضارة الحديثة... الخ.

٢ – أعلى محمد فريد وجدي من قيمه العقل إلى درجه كبيرة، وجعله أحد ركائز الدين الإسلامي، كما طالب بضرورة نقد سيادة التقليد في العقائد، لأن هذا يؤدي إلى الجمود، وطالب – كذلك – بضرورة الأخذ بالبرهان العقلي في قضايا العقيدة.

٣ – رفض محمد فريد وجدي الأخذ بمفهوم القومية العلماني، الذي يتخذ من وحدة اللغة، والجنس، والتاريخ وسيله لتأسيس مفهوم القومية، ورأى محمد فريد وجدي أن القومية في الإسلام تعتمد في المقام الأول على وحدة الدين – الإسلام – دون النظر إلى وحدة اللغة أو التاريخ أو الجنس.

٤ – لا شك أن انتقاد محمد فريد وجدي للفلسفة اليونانية، بل والفلسفة الإسلامية هو امتداد واضح لنقد تيار السلف في الحضارة الإسلامية لهما، والذي يشمل أعلام الأئمة مثل: الإمام مالك، وأحمد بن حنبل، والشافعي، وابن تيميه، فلم يأت محمد فريد وجدي بجديد في نقده للفلسفة اليونانية والإسلامية، سوى أنه كرر نقد أهل السلف للفلسفة.

٥ – أعلى محمد فريد وجدي من قيمة الحكمة القرآنية على الفلسفة، والسبب في ذلك أن المباديء التي جاء بها القرآن غيرت تاريخ شعوب بأكملها، وحولتها من التوحش إلى المدنية والحضارة، كما أرست الحكمة القرآنية في نفوس معتنقيها أعظم القيم الأخلاقية، سواء بين المسلمين، أو في معاملة المسلمين مع غيرهم من أصحاب الملل الأخرى.

٦ – رفض محمد فريد وجدي التبعية الكاملة للحضارة الغربية، كما رفض أيضاً الانغلاق على الذات وعدم الاستفادة من نتاج هذه الحضارة، بل رأى ضرورة الأخذ من الحضارة الغربية ما يوافق ثوابت الهوية الإسلامية، ومن هنا فقد دعا إلى الأخذ بالعلوم الحديثة، وكذلك الصناعات التي تخدم المسلمين، ولكنه رفض من الحضارة الغربية النزعات المادية والإلحادية.

٧ – طالب محمد فريد وجدي النُخب المثقفة بضرورة تقديم صورة مشرقة عن الإسلام للغربيين، ولا يجب أن تقدم الصور السيئة، والعادات الرديئة عن الإسلام، ولا شك أن كلام محمد فريد وجدي يعبر عن المأزق الذي يعيشه المسلمون بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١، حيث أخذ الغرب صورة سيئة عن المسلمين، بسبب حفنة قليلة من معتنقيه، ووجدنا أنفسنا في موقف يطالب بضرورة الدفاع عن أنفسنا وعن الإسلام.

٨ – رفض محمد فريد وجدي تصوير العلاقة بين العلم والدين على أنها علاقة صراع، ورأى أن العلاقة كانت صراعاً في الحضارة الغربية، ولكنها لم تكن كذلك في الحضارة الإسلامية، وذلك لأن الكنيسة في أوروبا قد هاجمت العلماء، وأحرقت جثث بعضهم، وشنقت آخرين، وكان الصراع في أوروبا بين رجال العلم ورجال الدين، بسبب استبداد رجال الدين بالسلطة في أوروبا، في حين أن العلاقة بين العلم والدين في الحضارة الإسلامية كانت عكس ذلك، فقد أعلى الإسلام من قيمة العلم والعلماء، وأعطى للعلماء حرية التفكير في الكون، وأعلى من شأن العقل والتأمل، فقد أسس الإسلام أرضاً خصبة لتطوير العلوم، ونبوغ العلماء، ولعل هذا ما أحدث التطور العلمي الكبير الذي حدث في الحضارة الإسلامية في أرجاء العالم الإسلامي كافة.

٩ – انتقد محمد فريد وجدي الاتجاه التغريبي في العالم الإسلامي؛ لأنه هو الذي نقل إشكالية العلاقة بين العلم والدين على أنها علاقة صراع، وليس علاقة تكامل، ورأى أن هؤلاء يتبعون الحضارة الغربية حذو القِدِّ بالقِدِّ، والنعل بالنعل، وهذا يفقدنا خصوصيتنا الحضارية، وهويتنا الإسلامية.

١٠- اهتم محمد فريد وجدي بالدفاع عن عقائد الإسلام ضد شبهات بعض الماديين الذين يكررون الشبهات الغربية حول العقائد باسم العلم أحياناً، وقد اعتمد محمد فريد وجدي على توظيف منتجات العلم ونظرياته من أجل إثبات موضوعات العقيدة المختلفة، مثل إثبات وجود الله، والنبوة، والمعجزة... الخ وقد رفض محمد فريد وجدي الاعتماد على الدليل النظري الكلامي الذي كان يأخذ به المتكلمون قديماً؛ لأنه لا يصلح في عصر يتخذ من العلم طريقاً للإلحاد، ولابد أن نخاطب الماديين المعاصرين بلغتهم، وهي اللغة العلمية، ونظريات العلم، حتى نثبت موضوعات العقيدة.

١١- جاءت محاولة محمد فريد وجدي لتسويغ إمكان النبوة علمياً متسمةً بالضعف، لأنه حاول أن يوظف نظريات لم تثبت علمياً حول "التنويم المغناطيسي"، و"استحضار الأرواح"، وهذا كلام لا يمكن أن يتسم بالعقلانية، كما أن محمد فريد وجدي قد أخطأ حين حاول أن يتخذ من مفهوم العبقرية وسيله لإثبات النبوة، لأن هذا يمكن أن يجعل النبوة اكتساباً، وليست اصطفاءً ربانياً، والواقع أن قضيه النبوة من السمعيات التي يجب الاعتماد فيها على الدليل النقلي، دون إعطاء مساحة كبيرة للعقل فيها، ولكن المشكلة – أحيانا – أن محمد فريد وجدي قد أعطى للعقل مساحة كبيرة تتجاوز حدوده وإمكاناته.

١٢- على الرغم من تسويغ محمد فريد وجدي لإمكان المعجزة الحسيه من الناحية العلمية إلا أنه كان أقرب إلى رفض الأخذ بالمعجزة الحسيه كدليل إثبات نبوة محمد (ﷺ)؛ لأن هذه المعجزات قد هوجمت من قبل المستشرقين والعلمانيين، في حين ركز محمد فريد وجدي على ضرورة إثبات نبوة محمد (ﷺ) عن طريق بيان أثر هذه النبوة في تغيير خريطة العالم، وتغيير حياة العرب من الجاهلية إلى الإسلام، فهذا الأثر هو الأقرب إلى منطق العقل عند محمد فريد وجدي.

١٣- اهتم محمد فريد وجدي ببيان بعض المعجزات العلمية في القرآن الكريم، مثل: محاوله تأصيل القوانين العامة لنظرية دارون في القرآن الكريم، إلا أن محمد فريد وجدي لم يوغل في الحديث عن النظريات العلمية كما فعل

الشيخ طنطاوى جوهري في تفسيره (الجواهر)، وانتهي محمد فريد وجدي إلى القول: بأن القرآن ليس كتاباً في العلوم، ولكنه جاء لتربيه الإنسان وتهذيب خصائصه، ويكفي القرآن فخراً أنه حث المسلمين على تحصيل العلم، والتأمل، والتفكر في أمور الكون.

١٤- على الرغم من بعض الأخطاء التي أرتكبها محمد فريد وجدي – وهو بإزاء الدفاع على العقائد الإسلامية، وخاصة في مسألة النبوة – إلا أنه يظل له السبق في الوعي بأهمية تغيير النظر في قضايا العقيدة بما يوافق متطلبات العصر وظروفه الجديدة، لأن لغة علم الكلام القديم ومشكلاته لم تعد صالحه الآن في الدفاع عن قضايا العقيدة الإسلامية.

المصادر

١ – مؤلفات محمد فريد وجدي

١ – الأدلة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن / مطبعه الرغائب /القاهرة ط٢، (١٣٥٥هـ – ١٩٣٦م).

٢ – الإسلام دين الهداية والإصلاح / مكتبه الكليات الأزهرية / القاهرة، (١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م).

٣ – الإسلام في عصر العلم / مكتبة مصر / القاهرة (١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م).

٤ – الحديقة الفكرية لإثبات وجود الله بالبراهين الطبيعية / مطبعة الترقي / القاهرة، (١٣١٨هـ – ١٩٠١م).

٥ – السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة / جمع وتقديم محمد رجب البيومى/ الدار، المصرية اللبنانية / القاهرة ط١ (١٤١٣هـ – ١٩٩٣م).

٦ – على أطلال المذهب المادي / مطبعة دائرة معارف القرن العشرين / القاهرة ط٢ / (١٣٥٠هـ – ١٩٣١م).

٧ – فصول من سيرة الرسول / جمع وتقديم محمد رجب البيومي/ الدار المصرية اللبنانية/ القاهرة ط١ (١٤١٧هـ – ١٩٩٧م).

٨ – المدنية والإسلام / مطبعة الترقى / القاهرة (١٣١٩هـ – ١٩٠١م).

٩ – مقدمة المصحف المفسر / دار الشعب / القاهرة (١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م).

١٠– مناقشات وردود / جمع وتقديم محمد رجب البيومى/ الدار المصرية / القاهرة (١٤١٥هـ – ١٩٩٥م).

١١– من معالم الإسلام / جمع وتقديم محمد رجب البيومى/ الدار المصرية اللبنانية / القاهرة ط١ (١٤١٢هـ – ١٩٩٢م).

١٢- مهمة الإسلام في العالم / جمع وتقديم محمد رجب البيومى / إصدار اللجنة العليا للدعوة الإسلامية / بالأزهر الشريف ط١ (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).

١٣- نقد الشعر الجاهلي / مطبعه دائرة معارف القرن العشرين (١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م).

٢ - مصادر ومراجع عامه

١ - الرازي وآراؤه الكلامية / محمد صالح الزركان / دار الفكر/ سوريا بدون

٢ - آراء في الوطنية والقومية / ساطع الحصري / مطبعة الرسالة بالقاهرة، (١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م).

٣ - الأعمال الكاملة جـ ٣ / للإمام محمد عبده دراسة وتحقيق د/ محمد عمارة دار الشروق/ القاهرة ط١ (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).

٤ - الأعمال الكاملة / لجمال الدين الأفغاني دراسة وتحقيق د / محمد عمارة دار الكاتب/ القاهرة ط١ (١٣٧٨هـ - ١٩٦٨م).

٥ - الإسلام دين العلم والمدنية / محمد عبده، سينا للنشر والتوزيع / القاهرة، (١٤٠٧م - ١٩٨٧م).

٦ - الإسلام دين الفطرة / عبد العزيز جاويش، الزهراء للإعلام العربي / القاهرة، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

٧ - الإسلام وضرورة التغيير/ محمد عمارة سلسلة كتاب العربي / الكويت عدد (٢٩)، (١٤١٧هـ- ١٩٩٧م).

٨ - الإسلام دين العقل / عبد الحليم محمود / دار المعارف / القاهرة ط٣، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)

٩ - الله / عباس محمود العقاد / الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)

١٠- تفسير جزء عمَّ / محمد عبده/ دار الشعب / القاهرة / بدون

١١- تجديد التفكير الديني في الإسلام / محمد إقبال/ لجنة التأليف والترجمة والنشر/ القاهرة / بدون.

١٢- التفكير فريضة إسلامية / عباس العقاد / الهيئة المصرية العامة للكتاب/ (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).

١٣- ثقافتنا العربية بين الإيمان والإلحاد / دكتور عصمت نصار / دار العلم / الفيوم (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).

١٤- إلجام العوم عن علم الكلام / أبو حامد الغزالي، جـ٤ من رسائل الغزالي دار الكتاب/ بيروت (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

١٥- الرد على الدهر يين / جمال الدين الأفغاني دار الهلال / القاهـرة، (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).

١٦- رسالة التوحيد / محمد عبده / دار المعارف / القاهـرة / بدون.

١٧- شرح العقيدة الأصفهانية / ابن تيمية/ دار الكتب الإسلامية / القاهرة / بدون

١٨- صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام / جلال الدين السيوطى/ تحقيق على سامي النشار/ مؤسسة الخانجي / القاهرة (١٣٦٧هـ - ١٩٥٧م).

١٩- صيقل الإسلام / سعيد النورسي/ ترجمة إحسان قاسم الصالحي / دار سوزلز/ القاهرة ط٢ (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).

٢٠- عالمية الإسلام / عباس محمود العقاد / الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).

٢١- العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى / جمال الدين الأفغاني / محمد عبده/ دار العرب للبستاني / القاهرة ط٢ (١٣٦٨هـ - ١٩٥٨م).

٢٢- العقيدة الحموية الكبرى / رسائل ابن تيمية / مكتبة انس بن مالك القاهـرة، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).

٢٣- الفلسفة القرآنية / عباس محمود العقاد / دار الهلال / القاهرة (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
٢٤- اللمعات / سعيد النورسي / ترجمة إحسان قاسم الصالحي / دار سوزلر / القاهرة ط٢ (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).
٢٥- لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم / شكيب أرسلان / المكتب السلفي / القاهرة، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م).
٢٦- محمد فريد وجدي رائد التوفيق بين العلم والدين / أنور الجندي/الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).
٢٧- المجددون في الإسلام / أمين الخولي/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
٢٨- ملقى السبيل / إسماعيل مظهر/ المطبعة العصرية / القاهرة / بدون.
٢٩- مناهج تجديد / أمين الخولي / الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
٣٠- موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين / مصطفي صبري/ مكتبة الإيمان / القاهرة (١٣٦٠هـ - ١٩٥٠م).
٣١- هاؤم اقرأوا كتابيه محاولة لتجديد الفكر الإسلامي / أحمد صبحي دار النهضة العربية/ بيروت ط١ (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).
٣٢- الوحي المحمدي / رشيد رضا /الزهراء للإعلام العربي / القاهرة (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
٣٣- الوعي الذاتي / برهان غليون / المؤسسة العربية للنشر والتوزيع / بيروت ط٢، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
٣٤- اليوم والغد / سلامة موسى / المستقبل للنشر والتوزيع / الفجالة ط١، (١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م).